ليبيا في العصر الفينيقي

د. عبدالحفيظ فضيل الميار

وردت تسمية ليبيا و لاول مرة في نقيشة ترجع إلى الألف الثانية ق .م في عهد الدولة القديمة في مصر ، وهذه التسمية كانت تطلق على إحدى المجموعات الليبية التي كانت تنتشر مضاربها غرب دلتا نهر النيل [1] ، ويبدو أن استعمال هذه التسمية كمدلول جغرافي على سكان ليبيا استمر خلال العصر الفينيقي والروماني حيث وردت تسمية " أرض اللوبيين " في نقيشة بونية ترجع إلى القرن الأول في عهد البروقنصل الروماني لوكيوس إيليوس لاميا (17/15م) عثر عليها في معبد الإله الليبي آمون الذي أقامه وكرسه أحد الأثرياء الليبيين في موقع المحيجيبة بقرية الخضراء في ترهونة [2] ، والمقصود بأرض الليبيين هنا ولاية شمال أفريقيا الرومانية التي يشكل إقليم المدن الثلاثة

(لبدة الكبرى ، ويات ، صبراتن) أجزاء منها ، والتي تمتد حدودها شرقاً حتى مذبح الأخوين فلايني (Arae Philenoum) (رأس العالي)[3].

و أن التأثير الفينيقي البوني وحسبما يتوفر من أدلة الآن اقتصر على الجزء الغربي من ليبيا ، أما الشرقي فقد وقع تحت الاستعمار الإغريقي بوقت مبكر ، وعليه فستشمل هذه الدراسة منطقة النفوذ البوني " القرطاجي" الممتد من مذبح الأخوين فلاني [4]شرقاً (حسبما ورد في دستور بطليموس الأول الخاص بالمدن الخمس) وحتى تنيناي (Tininai) 10 كم جنوب صقافس ، غرباً .

ووفقاً لما أورده يوليبيوس [5] في حديثه عن الاتفاقية الأولى بين روما و قرطاج فإن هذه

المنطقة تتطابق مع إقليم الأمبوري ، ويشكل البحر الأبيض المتوسط الحد الشمالي للإقليم ، ويمتد هذا البحر بسهولة الإبحار فيه وهو ما هيا عملية التواصل الحضاري بين شعوب البلدان المطلة على شواطئه ، ومن الجنوب امتدت الحدود لتشمل أرض الجرمنت .

---

(1) هيرودوتس .

(2) IPT 67 ؛ لمزيد نت المعلومات ، انظر : عبدالحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2001 ؛ وهكذا نرى أن تسمية إقليم أفريقيا الرومانية بأرض اللوبيين استمرت خلال العصر الروماني وليس كما اعتقد البعض ؛ رجب الاترم ، محاضرات في تاريخ ليبيا ، ص 12 ، إن استخدام هذه التسمية خلال هذا العصر اقتصرت على الإقليم الشرقي من ليبيا (برقة).

(3) Bel. Iug,79; Merighi,A.1940, Vo1, p p 30-370.

(4) Sallust.Bel. Iug.79.

Polybius, III.23.2. **(5)**

وخـلال القرن الثالـث الميلادي أطلـق مصـطلح " طـرابلس " علـى إقلـيم المـدن الثلاث (لبدة الكبرى ، ويات ، صبراته)[1]. وخـلال فترة الإمبراطورة الرومانيـة المتأخرة امتدت حـدود الإقلـيم لتشـمل جزيـرة جربـة وقـابس [2] . إن دراسـة تـاريخ الإقلـيم تسـتوجب دراسة موقعه الجغرافي ومناخه وطبيعة تكوينه ، لما لذلك من تأثير علـى البيئـة التـي لهـا دور فاعل ومؤثر في فكر الإنسان وحضارته ، حيث شكل أسلوب حياته وثقافته .

والإشـارات الـواردة فـي المصـادر القديمـة [3] تـدل علـى أن طبيعـة الإقلـيم كانـت مشابهة لما هي عليه الآن : حيث يوجد سهل ساحلي يمتد بين الشاطئ الجنوبي للبحـر المتوسط والسلسلة الجبلية التي تشمل غريات ، يفرن ، ترهونـة ، مسلاته ، ويقع جنـوب هذه السلسلة هضبة صحراوية مرتفعة تشمل الحمادة الحمراء تمتد نحو الجنوب حيث تصل في الجنوب الغربي إلى العرق الشرقي الكبير ، وفي الجنوب الشرقي تقطعها أودية سوف الجين ، وزمزم ، والمردوم ، وبئر ديدر والبي الكبير والشطاف .

وفيما يتعلق بحالـة المناخ في الإقليم فإن الشواهد الأثرية تدل علـى حدوث تغير تـدريجي نحـو منـاخ أكثـر جفافـاً بعـد فتـرة العصـر المطيـر 40.000–20.000 ق.م ، ويبدو أن ذلك استمر حتـى عام 2000 ق.م، حيث شكل التـاريخ الأخير بدايـة الجفاف الحالية ، ذلك إن اغلب علماء الجغرافيا والمورفولوجيا يعتقدون بعدم حدوث أي تغيير مهم بعد هذا التـاريخ[4] ، وبصورة عامة فإن كمية الأمطار التي تنزل في الإقليم قليلـة وهي تتفاوت من منطقة إلى أخرى ، ولا توجد سوى مساحة صغيرة بين ويات والخمس يصل فيها معدل سقوط الأمطار (300 مم في السنة) وهو لا يكفي لانتاج معدل كبير من الحبوب لأغراض تجارية والذي يحتاج إلى (400 مم في السنة) [5] ــــــ

(1)

Solinus, 27.8,H A.18.3;
CIL ,8,216542 ;16543-11105; Sutrop. 8.18.

(2) **Tabula Peut.V II.1.**

(3) **Corippus,Toh.2.15- 62,2 .78- 80;**

Strabo.Geog.X V II.3.19 ; X V II . 3.18;

XV II.3.30;Lucan , Bel .CIV .I X , 320 Herodot.I V .198; I V .175; pliny, Nat.Hist. 5. 2.6;

ولزيادة المعلومات حول المصادر التـي تتحدث عن هذا الموضوع راجـع: عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مرجع سابق ،ص 22 وما بعدها .

(4) **Baker,G.W.W. EARLY Agiculttne Anel Ecnomie Ehange In North Africa in Allan , J. A . 1981, p31045;**

- 1989 From Classificatien to Intenpr Etaiam Libyen Prehistory 1964-1989 Lib. Stud .20: p.31-43.

(5) **Despois ,J.1964, L, Afrique du Nord,Vol.I,Ob l, Paris, p.99. Afrique Blanche(Francaise)3 rd .edit.**

أصل سكان (الشمال الأفريقي):-

تشير الأدلة الأثرية و التاريخية إلى الأصل العربي لسكان الشمال الأفريقي ، ذلك أن الزيادة في عدد سكان الجزيرة العربية ، و لأنها منطقة طاردة بسبب الجفاف وشح الموارد الاقتصادية فيها اضطر سكانها إلى التوجه إلى المناطق الخصبة المجاورة في موجات متتالية ، رغبة منهم في تحسين أحوالهم الاقتصادية وظروف معيشتهم .

هذا ويمكن القول إنه بسبب الجفاف وازدياد التصحر خرجت من هذه المنطقة هجرات تتألف من عناصر سامية ، في وقت مبكر منذ آلاف السنين قبل بداية العصر التاريخي . ومن بين هذه الهجرات تلك التي اتجهت نحو الغرب سالكة طريقين أحدهما باب المندب والسودان ومصر وشمال أفريقيا ، والأخر عن طريق شبه جزيرة سيناء

وجنوب مصر العليا وشمال السودان إلى أن استقرت في الصحراء الكبرى الأفريقية التي كانت أمطارها غزيرة وتربتها خصبة حين وصول هذه الهجرات إليها حوالي الألف السادسة ق.م ، وكما هو معروف فإن هؤلاء الوافدين جلبوا معهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومارسوا مهنة الزراعة واستئناس الحيوان . ومنذ الألف الرابعة ق.م، حدث تغير في المناخ و أخذت منطقة الصحراء الكبرى في التحول والجفاف وهذا ما ترتب عليه الرحيل من هذه المنطقة إلى الشمال ، حيث يتوفر الماء و الكلأ والظروف الملائمة للعيش ومن ثم الانتشار في هذه المنطقة الممتدة من البحر الأحمر و حتى المحيط الأطلسي .

ويرى بعض الباحثين أن هذه المجموعات التي استقرت في الشمال الأفريقي خلال العصر الحجري الحديث لم تكن الوحيدة التي جاءت إلى هذه المنطقة و إن هناك هجرات أخرى من الشام والجزيرة العربية وصلت إليها منذ العصر الحجري الحديث وحتى نهاية العصور القديمة ، وهو ما نجم عنه اختلاف اللهجات ، وذلك عل الرغم من وحدة الأصل التي أكدها هيرودوتس [1]

---

(1)
Herod, I I ,32;
لزيادة المعلومات عن اصل الليبيين ينظر :
Betes,O.The Eastern Libyans,Londen,1924, p39-72;

Desamges,J.Catalogue des Tribus Africans de l, Antiquite Africaines Classique a l, Ouest du Nil,Dakap,1962;

– دي سانجس ،ج . البربر الأصليون (تاريخ أفريقيا العام ،ج2) جين افريك ، اليونسكو ، 1985، ص 43.

– كذا مصطفى كمال عبد العظيم ، دراسات في التاريخ الليبي القديم ، الطبعة الأهلية ، بنغازي ، 1966، ص 6 وما بعدها.

– كذا مختار العرباوي ، البربر عرب قدامي ، المركز القومي للثقافة العربية ، الرباط، 1993،ص 33–143.

– كذا محمد علي عيسى ،"الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم ،من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية "، الجديد للعلوم الإنسانية ، العدد 3 ، 2000،ص 38.

إن ظهور التمحو في الرسوم (شكل1) التي عثر عليها في المعابد المصرية ببشرة بيضاء وشعر وعيون زرقاء دفع البعض إلى القول بأنهم ينحدرون من أصول أوروبية ، إلا إن الأدلة الأثرية والأدبية تثبت بطلان هذا الادعاء ، ذلك أن هذه الصفات ظهرت في رسوم تمثل أشكالاً بشرية ملونة ترجع إلى الألف السادس ق.م، عثر عليها في مواقع بهضبة الاكاكوس استطاع موري ان يتبين فيها ملامح سكان البحر المتوسط[1] ، وقد ربط البعض بين أصحاب هذه الرسوم من سكان الصحراء والليبيين التمحو [2] . وقد أكدت الاكتشافات الأثرية على الأصل الليبي لهذه القبائل ذلك ان الصفات التي تتميز بها ظهرت في مناطق مختلفة من الشمال الأفريقي مثل رسوم الأشخاص التي عثر عليها في جبال تاسيلي (بالجزائر) ، كما أشار هيرودوتس إلى وجود ليبيين لهم مثل هذه الصفات في كل من برقة وسرت وطرابلس [3] وهو ما دفع البعض إلى القول بان التمحو هم أجداد الليبيين [4] .

يعتقد بعض الباحثين أن الليبيين القدماء ينحدرون من امتزاج ثلاثة عناصر سكانية وفدت من الشرق واستقرت في الشمال الأفريقي وهم أصحاب الحضارة العتيرية وأصحاب الحضارة القفصية و سلالة العصر الحجري الحديث [5] ، وهذه الحضارات هي كغيرها من حضارات ما قبل التاريخ التي قامت في الشمال الأفريقي الضبعانية والوهرانية التي أظهرت الاكتشافات الأثرية على أن لها أصولا شرقية جاءت من جنوب غرب آسيا [6] . ومنذ الألف الخامسة ق.م بدأت جماعة العصر الحجري الحديث و

اغلبهم من الصحراء الكبرى في المجيء إلى شمال أفريقيا واستمر ذلك حتى بداية العصور التاريخية القديمة ، حيث ظهرت المجموعات الليبية مثل التمحو والليبيو والمشواش في النصوص المصرية القديمة [7] .

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن سكان شمال أفريقيا ينحدرون من أصول شرقية خاصة

مناطق الشام والجزيرة العربية و أن لهم صفات جنس البحر المتوسط وليس بمتزنجين وهو ما ـــــ

(1) موري ، ف، " فن وحضارات ما قبل التاريخ في الصحراء في ضوء كشوف هضبة الاكاكوس (الصحراء الليبية) ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي، 1968، ص 38.

(2)بازامة ، محمد مصطفى ، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ ، ج1، منشورات الجامعة الليبية ، 1973، ص 107.

(3) محمد مختار العرباوي ، المرجع السابق ، ص 153-154.

(4) دي سانجس ،جيان ،المرجع السابق ، 1985،ص439.

(5) المرجع نفسه ،ص 432-433 ؛ محمد العرباوي ، المرجع السابق ، ص 106-110 .

(6) Mc Burney,C.B.M, Libyan Role in Prehistory ,L I H,1968,PP 4-5,28.

وعن الحضارة الوهرانية راجع : جيان دي سانجس،المرجع السابق،ص 432 ؛ محمد العرباوي ، المرجع السابق،ص 106-110.

(7) دي سانجس ، المرجع السابق ،ص 432.

أكدته الاكتشافات الأثرية وهم أسلاف الليبيين الحاليين[1] .

وقبل الدخول في موضوع وصول الكنعانيين الفينيقيين إلى الشمال الأفريقي يجدر بنا أن نلقي نظرة على الأوضاع في ليبيا خلال الفترة التي تسبق الاستعمار الفينيقي لإقليم المدن الثلاث والإغريقي برقة .الواقع إن الأرض الليبية مازالت صامتة تماماً فيما

يتعلق بتاريخ ليبيا خلال هذه الفترة ذلك أن المخلفات الأثرية تقدم في العادة معلومات عن أماكن الاستقرار وعادات الدفن وممارسة الشعائر الدينية ، إلا أنه بالنسبة لشمال أفريقيا لا تتوفر معلومات كافية ، نظراً لضآلة الآثار المادية التي خلفها الليبيون القدماء مقارنة بما تركه الإغريق والرومان في المنطقة ، وهذا بطبيعة الحال جعل الباحث في تاريخ ليبيا في هذه الفترة يلجا إلى مراجع أولية و إلى النقائش أو افتراض تشابه بين المجتمعات الريفية والقبائل الليبية في الماضي القريب والذين لا يزالون يستخدمون الأساليب والمعدات القديمة وبين أسلافهم الليبيين القدماء .

إن غياب الأدلة الأثرية وعدم توفر المعلومات الكافية الخاصة بتاريخ الفترة التي تسبق وصول الفينيقيين هو الذي دعى أحد الباحثين [2] إلى القول بان تاريخ ليبيا قبل هيرودوتس يجب ألا يسمى تاريخنا بالمعني المعروف ، فمصادر تلك الفترة لا تتحدث إلا عن صراعهم مع جيرانهم المصريين ، وهي عبارة عن تسجيلات لانتصارات الفراعنة عليهم. ولا يجد الباحث في التاريخ الليبي في تلك الفترة مناصاً من الرجوع إليها والاستفادة منها ، ويعتبر مؤلف بيتس " الليبيون الشرقيون" من الأعمال المهمة التي تناولت موضوع القبائل الليبية ، وكذلك الدراسة التي أعدتها جيان ديسانجس وضمنتها بيانات مهمة عن أسماء القبائل الليبية وتفرعاتها والمصادر الأولية والثانوية التي استقت منها معلومات وكذلك المواقع التي كانت تنتشر فيها مضارب هذه القبائل .

قسم هيرودوتس سكان شمال أفريقيا إلى مجموعتين من القبائل إحداهما تعيش في شرق بحيرة (تريتونيس) وهم بدو رحل يمارسون مهنة الرعي والأخرى في غربها تشتغل بالزراعة واستئناس الحيوان (شكل 2) ، ومن بين الجماعات القبلية التي تردد ذكرها في المصادر القديمة أمكن التعرف على أربعة منها هي : النسامونيس ، المكاي ، الجرمنت ، واللوتوفاجي [3] .

---

(1) قارن فبريسيوموري ، ليبيا في التاريخ ، بنغازي، 1968، ص 38-39.

Bates .O,The **(2)**
Eastern Libyans ,Londan ,1914,p218.

(3) حول هذه المجموعات ومواقعها راجع:

Bates.O, TheEastern Libyans , London,1914;

عبـد الحفـيظ فضـيل الميـار ، الحضـارة الفينيقيـة قـي ليبيـا ، مركـز جهـاد الليبيـين للدراسات التاريخية ؛

Desanges . J,1962,Catalogue des Tribus Africanas Classiques a l, Ouest du Nil Dakar.

وفيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للقبائل الليبية فإنه بالنظر لعدم توفر معلومات كافية بسبب عدم تناول المصادر موضوع القبائل الليبية وحدها ، و إنما في إطار علاقاتها بمن احتكت بهم من الشعوب الأخرى كالمصريين والقرطاجيين أو الإغريق أو الرومان ، فضلاً عن عدم وجود أعمال مدونة باللغة الليبية ، ورغم توفر معلومات جغرافية و أثنولوجية إلا أن بعضها عبارة عن تكرار لما ورد في مصادر تعود إلى فترة اسبق ، حيث نجد ميلا [1] يكرر معلومات وردت عند هرودوتس[2] وبليني[3] ، وفي مصادر إغريقية أخرى مشكوك في صحتها.

وعلى أية حال فإن الهيئة التي ظهر بها الليبيون في الرسوم المصرية بجديلة من الشعر على جانب الرأس والصدغ مع قراب ستر العورة والريشة فوق الرأس [4]، وقد مارس الليبيون صيد الحيوانات البرية و كانوا يرتدون الجلود حيث تشير الوثائق المصرية إلى أن قبيلة التمحو قدمت عدداً من الجلود إلى الملكة المصرية "حتشبسوت "[5] ، كما تظهر الرسوم صيادي النعام والزراف ووضع ريشة هذا الطائر فوق الرأس [6] .

و إلى جانب حرفة الصيد مارس الليبيون حرفة الرعي حيث تشير الوثائق المصرية إلى كثرة الأغنام والمواشي التي استولى عليها الفراعنة عقب انتصاراتهم على الليبيين . و تحدث ميلا عن قبائل الرعاة في الداخل وذكر انهم غير متحدين وليست

لهم قوانين ثابتة و أنهم كانوا يمارسون عادة تعدد الزوجات ولهم أطفال كثيرون في كل مكان .

ولا شك إن خصوبة التربة وتوفر المياه في بعض المناطق شجع الليبيين على الاشتغال بالزراعة وتوفر المخزون الأحتياطي اللازم من الغلال ، ذلك أن الوثائق المصرية تشر إلى أن الفرعون مرنبتاح عقب انتصاره على الليبيين دمر الحقول المزروعة واستولى على كميات الغلال الموجود في مخازن الزعيم الليبي مري بن دد (7) .

وتشير المعلومات المتوفر إلى إن الجرمنت كانوا مزارعين مستقرين في مناطق معينة من

---

(1) Mela ,1.8.14-8.

(2) Herod.IV.186.

(3) Herod,IV.183. Pliny.V.43-6.

(4) ظهرت هذه الصور في مقبض" سكين جبل العركي " ولوحة صيد الأسود ومعبد الفرعون ساحورع من فراعنة الأسرة الخامسة : الدريد ، الحضارة المصرية، من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة ،ت/مختار السويفي ، ط2، القاهرة، 1992،ص 69؛

عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة ، القاهرة، 1980، ص 187-189.

(5) Bates .O, op. cit , p193.

(6) موري ، ف، ،"الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ت/الباروني ورقيقة ، 1988، أشكال 81-95-98-102.

Bates .O,op. cit,p98. **(7)**

جنوب إقليم المدن الثلاث (لبدة الكبرى ، ويات ، صبراته)[1] ، وكان لهم مدن مثل جرمة في وادي الآجال ومثلهم كان النسامونيس الذين كانوا يغادرون أماكن استقرارهم في المنطقة الساحلية ويذهبون إلى اوجلة لجني التمر ، ويذكر هيرودوت إن الليبيين اشتغلوا بتربية النحل وصناعة العسل [2] ، وكذلك ستر أبو الحدث عن ممارسة الليبيين لصيد الأسماك في خليج سرت الكبير[3] .

ويقسم ديوروروس سكان المنطقة الجنوبية من إقليم المدن الثلاثة إلى ثلاثة أقسام مزارعين ، رعاة ورحل ومجموعات أخرى تعيش على السلب والنهب . والمكاي من القبائل التي تتألف من هذه المجموعات ، ويضيف هذا المؤرخ بأن قبائل المنطقة الجنوبية ليبيون و أن البعض من الملاك لهم أبراج في الواحات وأن هناك قبائل خاضعة لهم وربما تدفع الجزية [4] .

ومنذ القدم عمل الليبيون بالتجارة ونقل السلع الطبيعية بواسطة القوافل عبر الطرق التي تربط المناطق الساحلية بداخل القارة الأفريقية ، ومن أهمها طريق طرابلس تشاد ، وطرابلس السودان ، ولذلك الطريق الساحلي من طرابلس بوسبريدس (بنغازي) والطريق الرابط بين اوجلة سيوه– الفرافره – الواحة الداخلة – الواحة الخارجة – طيبة (الأقصر) في مصر العليا .

وقد شملت التجارة مواد مثل الملح الذي تحدث هيرودت عن وجوده بكميات وفيرة في جنوب الإقليم ، وكذلك خشب الآبنوس [5] والحجر الثمين الذي ذكره بليني والمعروف بالحجر القرطاجي أو الكربونكل [6] وكان هذا الحجر يجلب من أراضي الجرمنت أو الجيتولي على حد قول سترابو [7] ، وكذلك جلب الرقيق إلى المناطق الساحلية لبيعهم في الأسواق الخارجية .

وقد أشار هيرودوت إلى الطريقة التي كان يصطاد بها الجرمنت العبيد الأثيوبيين الأفارقة بمطاردتهم بعرباتهم التي تجرها الخيول ، وقد شملت التجارة بيض

النعام الذي عثر على بقايا منه في مقابر الاتروسكيين بإيطاليا والعاج وسن الفيل ، والجلود و الصوف والذهب والإسفنج السرتي [8] .

وكانت جميع المبادلات التجارية تتم عن طريق المقايضة ولا يتوفر أي دليل على استخدام

(1) Bates .O,op. cit,p98.

(2) Herod.IV.172.

(3) Strabo. XV I I ,17.

(4) Diod. III. 49.1- 3.

(5) Herod.IV 181, III.14.

(6) Pliny, N. Hist. 37.7.

(7) Strabo. XV II. 830-35.

(8) Bates.O, op. cit. p101.

النقود أو أي معدن أخر للتبادل سواء أكان حيواناً أو وزن من المعادن [1] . وبصورة عامة يمكن القول إن تجارة الليبيين تتم بطريقة بدائية على غرار المبادلات التجارية التي كانت تجري بين الليبيين والقرطاجيين والتي وصفها هيرودوت بالغريبة ، حيث كان القرطاجيون يأتون إلى الساحل الأفريقي ويضعون بضائعهم على الأرض ويعودون إلى سفنهم ويوقدون ناراً حتى يراها السكان فيأتون لمعاينة البضاعة المعروضة ويتركون

الذهب ثم يأتي القرطاجيون ويكررون العملية إذا لم يكن الثمن مرضياً [2] ، فإذا وافقوا تمت الصفقة و يأخذ الليبيون البضاعة .

وكانت الواردات تتمثل في المعادن والملابس والفخار والزجاج وكل المواد التي يحتاجون إليها ، و كانت القبائل الليبية تقوم بتأسيس الطرق التجارية التي تمر عبر أراضيها ، كما تقوم بحماية القوافل التي تمر على هذه الطرق مقابل ما تحصل عليه من ضرائب [3] .

وفيما يتعلق باللغة الليبية القديمة فقد دلت الدراسات على وجود تماثل بين هذه اللغة واللغات السامية الجزرية خاصة الاكادية ، فضلاً عن التماثل في مجال التعريف وعدم التمييز بين التعريف والتنكير[4] ، وتوجد عدة لهجات للغة الليبية وهي تعرف حالياً بلغة البربر وهذه اللهجات تتشابه في تركيب الجملة والمفردات ، وهو ما يبعث على الاعتقاد بتفرعها من لغة واحدة هي اللغة الليبية القديمة . ولا يوجد أي عمل مدون باللغة الليبية وهو ما ترتب عليه الكثير من الاختلافات بين اللهجات.

وتعتبر اللغة الليبية القديمة هي الأم للهجات الحالية المستخدمة في مناطق جبل نفوسة ، غات ، غدامس ، اوجلة ، مراده ، سيوه ، وزواره ، وقد عثر على نقائش مكتوبة بالحروف الليبية في قرزه ومواقع أخرى في جنوب الإقليم حيث دون بعضها على المعابد والمباني الموجودة في هذه المنطقة ، وبالمثل عثر في شرق ليبيا على مجموعة من الحروف منقوشة على الصخور في كل من مارمريكا والواحات[5].

وحروف اللغة الليبية ثلاثون حرفاً وتقرأ الكتابة الليبية من العمود الأيمن ومن الأسفل إلى ـــــ

(1) Herod.IV.183; Bates , .O, op. cit .p101.

(2) Herod.I V,196.

Idem. **(3)**

Rossler, Der Semitische Charuter derLibyschen ZA50, Leipzig, 1952, p125-129. **(4)**

Brogan .O,and Smith , D.Girza ,Libyan Settelment in the Roman Period ,Dept.of Antiquities, Tripoli , Libya,1984, p250-253. **(5)**

الأعلى .وقد جرت دراسات حول أصل الأبجدية الليبية أظهرت أن الليبيين استلفوا من الفينيقيين عددا من الحروف ، وفكرة الكتابة وأضافوا إلى هذه الحروف عدداً كافياً من العلامات لتناسب استعمالاتهم [1] ، واللهجة البربرية الحديثة لا يوجد بها أداة تعريف والفعل له تعريف واحد ويتكون جذره من حروف ساكنة وتستخدم علامات في أوله للدلالة على الزمن المضارع والماضي والمستقبل ، ويمز الأشخاص في التصريف ببدايات أو نهايات أو الاثنين معا،و الصفة تتبع الموصوف.

والليبيون كغيرهم من الشعوب القديمة آمنوا بوجود قوى عليا خفية لها عليهم حكم وسلطان ، واعتقدوا إن ما يصيبهم من خير أو شر هو من عند الآلهة فعملوا على التقرب منها بتقديم الأضاحي لنيل رضاها ، وقد يكون إيمانهم بالقوى الخفية راجع إلى التغيرات الكونية وما يتولد عنها من ثورة وعنف وسكينة أحياناً مثل هبوب الرياح والعواصف والبرق والرعد وتحرك الأشجار وإحساس الإنسان بالضعف وعجزه عن مواجهة بعض الأخطار ، وهو ما دفعه إلى لاستعانة بالقوى الخارقة لحمايته من ما يحيط من مخاوف .

ويتحدث هيرودوتس عن الريح الجنوبية التي قضت على قبائل البسيلي الليبية [2] ، كما يتحدث أبوليوس عن تقديس الليبيين للأشجار[3] ، أما بليني فيذكر أن حجر سيوة كان يقدسه سكان الواحة معتقدين أن من يمسه يتسبب في إثارة عاصفة رملية

مهلكة [4] ومارس الليبيون السحر حيث استخدمه البسيلي في علاج لدغة الحية واثبات صحة نسب الطفل إلى والده [5] .

كما مارسوا عبادة أرواح الأسلاف حيث كان أهالي اوجلة يستشيرون أرواح أسلافهم المؤلهين [6] ، وذلك بالنوم على قبورهم والحصول على إجابة من خلالا أحلامهم [7] ، وهو نفس ما ذكره هيرودوتس عن النسامونيس الذين كانوا يصلون [8] على قبور أسلافهم ، وبعد ذلك

ينامون عليها ويحصلون على مشورتهم . وشغلت الظواهر الطبيعية الليبيين ، حيث يذكر ـــــ

(1) Bates .O. op . cit p103.

(2) Heroduts.IV ;Bates. O, op. cit. p172-173.

(3) Apuleius, Apology, 56, 5-6.

(4) Pliny, N.Hist.37.7.

(5) Bates .O,op. cit,178.

(6) Ibid,p 179-180.

(7) Mila , p.1.8.

(8) Bates .O, op.cit.p178.

هيرودوتس إن الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر [1] . وبعد ذلك انتقل الليبيون إلى مرحلة متطورة عبدوا فيها آلهة متعددة لها أسماء وأشكال مختلفة منها الإله "أش" ورد أسمه في نقوش الفرعون سحورع من الأسرة الخامسة والآلهة شهادد التي ورد أسمها في ألواح تحمل أسماء ليبيين عثر عليها في الدلتا [2]. وتشير الأدلة إلى وجود علاقة بين ديانة الليبيين وديانة المصريين القدماء ، ذلك أنه بعد حدوث الجفاف في الصحراء الكبرى انتقل سكانها الليبيين إلى وادي النيل وجلبوا معهم ثقافتهما و ألهتهم ، ومن هذه الآلهة " اوزوريس" (الإله الليبي صاحب الذراع الطويلة)، و الإلهة " أزيس " التي ظهرت في الرسوم المصرية على شكل بقرة بقرنين يحملان بينهما قرص الشمس. ويذكر هيرودوتس إن الليبيين قد مارسوا عبادة هذه الآلهة ومن أجل ذلك ابتعدوا عن آكل لحم البقرة [3] ، و أقاموا لها المعابد ولا زال آثار معبدها في صبراته ومعبد الإله أوزوريس في لبدة [4] ، ومن بين الآلهة المحلية الإله أمون (Ammon) الذي كانت له معابد في أماكن مختلفة من ليبيا ، و لا زالت آثار بعضها باقية حتى الآن ، و أهم معابده كانت في سيوة و أوجلة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن ما عرف من معابد كانت في تل آمون جنوب بنغازي سرت ، مذبح الأخوين فيلاني (قرب قريرات قصر التراب) ، بونجيم ، زاوية المحجوب المحجيبة ،(ترهونة) و مليته [5] .وفي المنطقة الساحلية والجبل عثر على عدد قليل من نقائش إهدائية للآلهة الليبية المحلية مثل نقش معبد الإله آمون في المحجيبة في ترهونة (شكل 3) الذي شيده وكرس أحد الليبيين لهذا الإله في عهد البروقنصل لوكيوس أيليوس لامبا الحاكم الروماني لولاية أفريقيا (17/16م)[6]. وورد اسم الإله الليبي " قرزل" في نقش من "ويات ونقش" [5] آخر من قصر دوغة (ترهونة) [7]. ويرمز للإله آمون بكبش بين قرنيه قرص الشمس ، أما ابنه الإله قرزل من بقره فيرمز له بثور يحمل بين قرنيه قرص الشمس [7] .

---

(1) Herodtous,1.188.

(2) Bates.O, op. cit

.p180.

(3) Herodotus,I V.186;
عبد الحليم دراز ، مصر وليبيا فيما
بين القرن السابع و الرابع ق.م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2000، ص 206-201.
(4) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق،ص 66.
(5) المرجع نفسه ، ص67.
(6) عبدالحفيظ فضيل الميار ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية في ليبيا، جامعة الفاتح ، 2005 ، ص ص 95-97 ؛
I P T 76.

(7) I P T 11.

ومن الآلهة الليبية الأخرى التي عثر على معابد لها الإله فإن آمون والإله (Van) Ammo جوبتر حمون في أبونجيم – والإله مارس كنابافار [1] ، كما عثر على معابد ليبية في قرزه (جنوب لبدة). وقد استمر تقديس الغابات والأحجار والريح والشمس حتى القرن الرابع الميلادي، كما جاء عن القديس اوغسطين [2] واستمرت عبادة الأحجار حتى القرن العاشر الميلادي عند قبيلة هوارة [3] .

وتشير الأدلة إلى وجود تطابق بين الآلهة المحلية والآلهة الرومانية الوافدة مثل الإله آمون والإله جوبتر حمون ، ومارس كنابافار في أبونجيم [4] ، والإله بعل والإله ساتور في صبراته [5].

أما بالنسبة لمعابد الآلهة الليبية فإنها كانت تقام خارج نطاق التجمعات السكنية وهو ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في أبونجيم ، والمعبد الموجود في مستوطنة قرزه

مقام على ربوه، وفي مكان يشرف على وادي قرزه ، وبالقرب من مصادر المياه (صهاريج وآبار) بينما تقع التجمعات السكانية في الجبهة المقابلة كانت الكيفية التي بنيت بها المعابد الليبية تبين الطريقة التي تتم بها تأدية الشعائر الدينية ، فالذين يعبدون الإله مارس كنابافر يؤدون عباداتهم داخل المعبد (شكل 4) حيث توجد كراسي في مكان العبادة الذي هو على شكل قاعة اجتماعات ، وفي العادة يوضع تمثال رمز الإله في المعبد خلف أعمدة تحجبه عن الأنظار، أما معبد الإله فان آمون فله نفس المواصفات لكن لا يدخله المتعبدون نظراً لضيق المكان .

الفينيقيون في ليبيا :

أطلق الإغريق على الكنعانيين من سكان الساحل اللبناني وشمال فلسطين اسم الفينيقيين (Phoenikes) وهي تعني اللون الأرجواني (Purple) نسبة إلى الشهرة التي عرف بها هذا البلد في صناعة الأصباغ والملابس الأرجوانية اللون ، وردت هذه التسمية عند الشاعر الإغريقي هوميروس حيث وصف الفينيقيين بالمهارة في ركوب البحر والصناعات اليدوية [5] .

ويبدو إن استعمال تسمية الفينيقيين " مأخوذ عن نصوص موكنية (Mycenaean) ترجع ــــــــــ

Reluffat,R . Bu Njem1972, LA 13-14 (1976-1977) ,p.37-87. (1)

Letters 47,7. (2)

Reluffat,R . (3)

Rossi ,M. Garbini (4) ,G.Nouvi Documenti Epigrfici Della Tripoli Tania Romana L A13 - 14 (1976-

1977),p.20.
Homer, IL6. IL290; (5)
Od.13.272. ff.14. 288 ff.5.

إلى النصف الثاني من الألفية الثانية ق.م ، وهذه التسمية تشمل شعوب المنطقة التي شغلها الفينيقيون شرقاً وغرباً ولا تخص الشرق فقط .

وتجدر الإشارة هنا إلى مرحلتين فينيقية بحتة في الغرب وهي التي جاءت مباشرة بعد سيطرة قرطاج حوالي 550 ق.م ، والثانية تسمية البونقيين(Poini) تطلق على القرطاجيين للدلالة على شعب وثقافة هذه المدينة ، وهي تسمية لاتينية مشقة من كلمة فينيقيين ،وتدل الشواهد الأثرية على أن الكنعانيين سكنوا فلسطين قبل مجيء اليهود إلى هذا البلد [1] ، واستمر ذكر الكنعانيين على مر العصور وخاصة في التوراة التي تشير إلى أنهم الشعب الذي يسكن ارض فلسطين قبل مجيء الإسرائيليين إليها ، وظهر هذا الاسم في فينيقيا على عملات ترجع إلى العصر الهيلنستي[2] .

وفي أفريقيا احتفظ السكان المنحدرون من أصول فينيقية بهذا الاسم ، حيث يذكر القديس اوغسطين في حديثه عن سكان الريف أنه إذا سئل أحدهم عن أصله أجاب بأنه كنعاني [3] .و يذكر هيرودوتس أن الفينيقيين هاجروا من موطنهم في الخليج الفارسي حوالي 2300 ق.م [4]، أما استربو فيخبرنا أنه كان يوجد معابد ومدن على الخليج الفارسي تشبه مدن ومعابد الفينيقيين ، وبليني بدوره ذكر ذلك [5] .

ويعتقد بعض الباحثين أنهم جاءوا من موطنهم في شبه الجزيرة العربية ومن بلاد اليمن وحضرموت بالتحديد ويستدلون على ذلك بحمل الفينيقيين لأسماء مركبة مثل عبد ملكارت (أي عبدالإله ملكارت) وعبد أشمن (أي خادم الإله أشمن) وأن جميع الأسماء التي من هذا النوع هي من أصل يمني [6] .

ويمكن القول أن الفينيقيين اصبحوا واقعاً تاريخياً في الشرق الأوسط اعتباراً من 1200 ق.م ، أي مرحلة الخروج من العصر البرونزي على العصر الحديدي[7].

---

(1) Harden ,D.The Phoenicians,London Thames and Hudson1962, p23.

(2) Idem.

(3) Augustine ,Pl ,X XX V,col.2096.

(4) Herod.1,1; VII. 89.

(5) Strabo, X V I ,3,4;Pliny ,I V ,36.

(6) محمود الأمين ، الكنعانيون الشرقيون"، محاضرات الموسم الثقافي 1979–1980، إعداد محمود عبد السلام الجفائري ، نشر مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1969، ص 10–12.

(7) Moscati, IN CPP,P4.

كانت الأرض الكنعانية عبارة عن شريط ساحلي ضيق محصور بين الجبال من الجنوب والشرق ومن الشمال ومن الجنوب الفلسطينيين الذين سيطروا على الساحل الجنوبي ، وكانوا مزارعين وعمال في الحديد وأسسوا مدناً في الداخل ، أما في الشمال فكان يتواجد الحيثون والآراميون الذين منعوهم من الاقتراب من الساحل الشمالي لسوريا ، وبالرغم من هذا كان التأثير الفينيقي قوياً في هذه المنطقة ، ففي موقع الميناء أو أبعد إلى الشمال عند كرا طيب كانت اللغة الفينيقية هي لغة التخاطب ، وإلى الشرق سيطر العبرانيون على الأراضي الداخلية للكنعانيين إلا إن المدن البحرية التجارية لم تتأثر كثيراً بخسارة هذه الرقعة من الأرض الفقيرة والتي كان يشغل جل مساحتها أقوام رحل ، ويدل على عدم أهمية المدن العبرية هذه أنه عندما أهدى الملك سليمان مجموعة

من مدن الجليل إلى أحيرام ملك صور ذهب الأخير لتفقد هذه المدن وبعد ذلك رفضها وطلب من سليمان أن يمنحه كمية من القمح والزيت بدلا منها [1].

وهكذا فإن صغر مساحة الأرض و محاصرتها بالجبال والجيران ، وضيق المساحة الصالحة للزراعة وقلة المراعي مع الزيادة في عدد السكان والحاجة إلى الطعام أدى ذلك إلى تحويل الاقتصاد إلى تجاري صناعي ، وهذا بدوره يتطلب الحصول على مواد خام ووجود أسواق لتصريف المنتجات ، وعليه فقد اتجه الفينيقيون إلى البحر ووجدوا فيه اسهل الطرق .

وتشير المصادر إلى أن التجارة كانت أساس النشاط الاقتصادي في المرحلة الأولى من التوسع الفينيقي الممتد من القرن العاشر ق.م ، وأن المعادن خاصة الثمينة منها كانت محل اهتمامهم ومحط أنظارهم ، وتشير التوراة إلى تجارة الفينيقيين البرية والبحرية ، حيث جاء فيها أن من بين واردات الفينيقيين الفضة والرصاص والحديد والقصدير من أسبانيا والرقيق والنحاس والأواني من أيونيبا والكتان من مصر ، ويتحدث هيرودوت عن متاجرة الفينيقيين في توابل بلاد العرب وجلبهم المواد الخام إلى فينيقيا وتصدير الخشب والقمح والزيت والخمر،بالإضافة إلى منتجاتهم الصناعية مثل الملابس والأصباغ [2]، والصناعات المعدنية والأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، كما كانوا يجلبون الذهب والعاج والجلود من أفريقيا ، وهذه بطبيعة الحال تحتاج إلى البحث عن أسواق وإقامة محطات تجارية في المواقع الملائمة لرسو السفن حتى يمكن الاتصال بالسكان المحليين ومزاولة النشاط التجاري .

---

(1) Fernand Braudel, The Mediterranean in the Ancient World, Penguin Books, 2002, p.209-210.

(2) سفر حزقيال 27/1،

3، محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية ، تاريخ لبنان القديم، ص 272.

ومن أقدم المستعمرات التي أقامها الفينيقيون في غرب البحر المتوسط مدينة قادس(في أسبانيا) عتيقة (عنابة حاليا) ، وقرطاج (تونس) [1]، ومن بين المستوطنات الفينيقية الأخرى التي إنشائها الفينيقيون في الشمال الأفريقي لبدة الكبرى (Leptis Magna) التي يذكر سالوست (القرن الأول م.) أنه أسسها مهاجرون من صيدا كانوا قد اخرجوا من مدينتهم بسبب نزاعات داخلية بينما يذكر آخرون أنه انشأها صوريون [2] ، أما الشاعر سيليوس ايتاليكلوس فيخبرنا أن مستوطنين من صور أنشأوا لبدة وصبراته ، بينما أنشأ ويات مهاجرون فينيقيون من صقلية بالاشتراك مع بعض الليبيين [3] .

ويبدوان هذا التناقض قد نتج عن استعمال الكتاب القدماء اسم "الصيدونيين" للكناية عن الفينيقيين فهيرودوت يطلق اسم الصيدونيين على الشعب الفينيقي كله [4] ، فقد جرت العادة على إطلاق كلمة الصيدونيين او ملك الصيدونيين على صور و ملكها ذلك أن ايتوبعل ملك صور ورد في الكتاب المقدس على انه ملك الصيدونيين ، كما إن حيرام الأول ملك صور يدعوه العهد القديم على انه ملك صيدون ويطلق على رعاياه اسم الصيدونيين [5] ، وتكرار اسم هذا الملك مرة على انه " ملك الصيدونيين" وأخرى على أنه ملك "الصوريين"إنما جاء بسبب مكانة صيدا التاريخية على الرغم أن ايتوبعل هو ملك صور ،وقد استمر استخدام تسمية "ملك الصيدونيين " وفي نفس الفترة كان الملك الآشوري تقلات بلاسر الثاني يدعو هذا الملك " بحيرام الصوري "[6] .

ويرى رومانيللي أنه لا حاجة إلى وجود تناقض محتمل في النصوص أو الاعتقاد بوجود استيطان مزدوج لمدينة لبدة طالما أن الصوريين هو تعبير حيوي يستخدم كثيراً للدلالة على أن مهاجرين من صور هم الذين قاموا بتأسيس هذه المدينة [7] .

وتشير لأدلة إلى أن مدينة صور هي التي لعبت الدور الرئيس في تأسيس المستوطنات ــــــ

(1) ذكر هيرودوت إن الفينيقيين كانوا يبيعون بضائعهم بالذهب الذي يحصلون عليه من الليبيين (IV,196).

(2)

Sallust , Jug78.

Silius (3)

Italicus ,Punica III,256; Pliny,Nat.llist,V76.

(4) هيرميروس، الالياذة ، الخامس ، الأبيات 195-290،والثالث والعشرين، 743-750، الادويسة،الرابع 13-619، الخامس عشر 460.

(5) الملوك الأول 31/16؛ 61/5؛ 5 /6.

Katzentein ,H. S.History of the Jeruslem, 1973, p131;Wisman, IRq , VI I I (1955), PP. 123-125. (6)

Romanelli ,P. Lepcis Magna, Rome,1925, p.3. (7)

الفينيقية الأخرى [1]، وتدل نقيشة عثر عليها في مدينة صور أن هذه المدينة هي التي أسست مدينة لبدة الكبرى [2].

وتعتبر قرطاج أهم المستوطنات الفينيقية الغربية ومع الوقت أصبحت أهم مركز تجاري (Emporium) لصور في الحوض الغربي للبحر المتوسط ،وهي كمستعمرة حقيقية خدمت أمها صور ، ويؤكد ارتباطها بأمها تلك النذور السنوية التي كانت تقدمها إلى معبد الإله ملقارت الصوري ، وهذه النذور وحسبما يذكر ديودوروس [3] الصقلي كانت تساوي عشر دخل الحكومة قرطاج وهي ربما كانت تمثل الضريبة السنوية التي كانت تدفعها هذه المدينة إلى صور.

وبعد سقوط صور تحت سيطرة بابل في القرن السادس ق.م ، وضعف دورها السياسي والاقتصادي نصبت قرطاج نفسها حامية لجميع المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ومن الأسباب التي أدت إلى انضواء هذه المستعمرات تحت لواء قرطاج طلباً لحمايتها هو انتشار الإغريق في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ومنافستهم الشديدة التي كانت تمثل تهديداً للمصالح الفينيقية في هذه المنطقة ،

ويبدو أن تواجد الفينيقيين على ساحل شمال أفريقيا غربي خليج سرت الكبير منع الإغريق من المغامرة بالمجيء إلى هذه المنطقة والاستقرار فيها كما أسلفنا .

وفي هذا الصدد يذكر هيرودوتس حملة دوريوس (Dorieus) أخ ملك اسبرطة التي قادها إلى شمال أفريقيا ، حيث أقام مستعمرة إغريقية في وادي كينبس (Cinyps) (وادي كعام) قرب لبدة الكبرى ، وقد تمكن القرطاجيون بمساعدة الليبيين من قبيلة المكاي (Macae) من طرد الإغريق وتدمير مستوطنتهم في وادي نهر كنبس إلى عام 517 ق.م، بعد ثلاث سنوات من إنشائها[4]، ولم يشير هيرودوتس إلى دور لبدة الكبرى في تدمير المستعمرة الإغريقية في وداي كعام .

ويرى رومانلي إن عدم ذكر لبدة الكبرى في هذا الصدد قد يرجع إلى حالة من الضعف ربما كانت قد وصلت إليها هذه المدينة لأنها لو كانت لها القدرة لمنعت قيام دولة غريبة بالقرب منها في حوض وادي كعام ، ويدل على ذلك تحسن أحوال هذه المدينة وبعثها من جديد ، حيث ــــــ

(1) Eilsen , F.C.Sidon,p.114.

(2) Reycoquais," Une Double Dedicace de Leptis Magna,at yre",Africa Romana 4 (1987), p.597-602.

(3) Didorus.XX 14.

(4) Herodotus ,V 326.

أطلق عليها بعد قرن و نصف من تاريخ هذه الحادثة اسم " المدينة الجديدة " (Leptis Neaplis) ويبدو أن القرطاجيين بعد تدمير المستعمرة الإغريقية هذه اتخذوا التدابير الكفيلة لمنع أية محاولة أخرى للاستيطان الإغريقي على هذه الشواطئ ، وكذلك الوقوف في وجه إغريق قورينائية (برقة) ومنعهم من التوسع غربي خليج سرت الكبير [1].

ويعتقد بعض الباحثين أن تأسيس لبدة كان سابقاً على تأسيس المستعمرة الإغريقية في وادي كعام ، إلا أن المصادر تتحدث عن قرطاجيين تعانوا مع الأهالي

من سكان الإقليم الأصليين في تحطيم هذه المستعمرة مما يبعث على الاعتقاد بأن الاستعمار الفينيقي قد ثبت دعائمه منذ مدة طويلة في الإقليم وأتاح الفرصة لقرطاجة لكي تسيطر عليه ، وان بداية هذا الاستعمار ترجع إلى حقبة بعيدة عن محاولة دوريوس لتأسيس مستعمرة كنبس(وداي كعام) التي ترجع إلى الفترة من 520−317 ق.م[2].

وعلى أية حال فإن الأدلة المتوفرة حتى الآن تشير إلى أن تأسيس لبدة الكبرى لمستوطنة دائمة يرجع إلى القرن السابع ق.م، وصبراته إلى القرن السادس ق.م وويات إلى القرن الخامس ق.م [3] .

ويرى ديفيتا (Divita) أن تأسيس المدن الثلاث (لبدة الكبرى و ويات و صبراته) إن لم تكن قرطاج قد قامت به فلابد وأنه تم تحت إشرافها وبمساعدتها[4]، ومع ذلك فإن الأدلة الأدبية والنقشية تتفق مع الأدلة الأثرية في إرجاع تأسيس لبدة إلى القرن السابع ق.م ، كما أسلفنا وهو ما جعل إمكانية إنشائها من قبل الفينيقيين أمراً مقبولاً ، أما بالنسبة لويات وصبراته فإن المخلفات الأثرية التي عثر عليها في هاتين المدينتين لا تسمح لنا بالذهاب إلى أبعد من القرن الخامس ق.م .

كما و أنه خلال هذه الفترة تجعل من الصعب تنفيذ عملية إنشائهما من قبل الفينيقيين دون موافقة قرطاج ومساعدتها خاصة وأنه خلال هذه الفترة زادت قرطاجة من حراستها للإقليم بعد تدمير المستعمرة الإغريقية في وادي كعام وذلك قبل عام 519 ق.م ، كما أنه في نفس التاريخ ـــــــ

(1) Romanelli ,P. op. cit.p6.

(2) Merighi ,A. La Tripolieania Antica ,1940, p7.

(3) Longerstay , M. Libye
in Krings,V.La Civilisation Phoenicinne et Punique .E. J .Brill, Leiden Newyork Koin 1995, CPP. P837- 839 .

Divita.A, 1968, ' La Date Di Fondazione di Leptis Di (4) Sabrtha Sulla Base Deli Indigine Archaeoloica e L, Eparchia Cartaagine D, Africa' ,Hommages a ,M.Renard I I I col .Latomus 103,1969, p.196-202.

و حسبما يذكر بوليبيوس قامت قرطاجة بإبرام الاتفاقية الأولى مع روما التي كان الهدف منها عدم السماح للأسطول الروماني بالرسو على ساحل الأمبوري الخصيب [1] ، ولكن وبما أن علميات التنقيب عن هذه المدن لم تصل المستويات الفينيقية فإن النتائج التي تم التوصل إليها تعتبر أولية ، وعليه تظل مسالة تحديد تاريخ تأسيس هذه المدن معلقة على الرف إلى أن يتم إجراء المزيد من عمليات التنقيب و الحصول على معلومات جديدة قد تمكننا من معرفة تاريخها وتأسيسها[2] .

وفيما يتعلق بسياسة قرطاج تُجاه المدن الثلاث ، فقد انتهجت هذه المدينة سياسة استعمارية تهدف إلى منع هذه المدن من الاتصال بالعالم الخارجي وفرض العزلة عليها واحتكار التجارة الخارجية ، الأمر الذي أدى إلى هذه المدن من مصدر دخل مهم ، وهي لم تكتفِ بذلك ، بل فرضت عليها ضرائب باهضة ، ويقدم لنا المؤرخ تيتوليفيوس صورة عن حجم هذه الضرائب النقدية التي كانت تدفعها لبدة إلى قرطاج في القرن الثالث ق.م ، ومقدارها "تالنت" في السنة[3] ، ويرى بعض الباحثين إن هذه الجزية كانت تدفعها المدن الثلاث وليست لبدة وحدها ، و إنها كانت عاصمة الإقليم معتمدين في ذلك على ما قاله هذا المؤرخ من أن لبدة كانت " أهم مدن الإقليم" ، إلا إننا نعتقد أن هذه المدينة كانت تدفع الجزية لوحدها وإنها لم تكن عاصمة لإقليم المدن الثلاث، ذلك أن تيتوليفيوس لم يذكر أن لبده كانت العاصمة ، كما أنه لا يتوفر دليل وجود وحدة تربط مدن الإقليم ، وإنما كان لكل مدينة أراضيها الخاصة ، ويدل على ذلك الحرب التي وقعت بين لبدة ووبات عام 70م ، بسبب النزاع على الحدود والتنافس الاقتصادي [4] . كانت المدن الثلاث تتمتع باستقلال ذاتي شانها في ذلك شان المستعمرات الفينيقية القرطاجية الأخرى في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، و طالما استمرت هذه المدن

في دفع الجزية فإن قرطاج لا تتدخل في شئونها الداخلية إلا في حدود ضيقة [5] . أما إذا تقاعست عن دفع الضرائب المفروضة فإنها ستتخذ نفس الإجراء الذي اتخذته أمها صور في عهد ملكها حيرام الثاني الذي أرسل حملة تأديبية إلى مدينة عتيقية (عنابة حاليا) عندما تقاعست عن دفع الإتاوات السنوية المفروضة عليها[6].

---

(1) **Livy ,T .X X X IV,62.**

(2) **Tacitus,Hist. 50.**

(3) **Markoe, Peoples of the Pase, Phoenicians ,British Museum Press,London,2000,p.90.**

(4) **LOS. ANC.VI I I , 5, 3;**
عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق،ص 24.

(5) **Longertay, M ,op. cit.p838.**

(6)عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق،ص 117.

وقد سمحت قرطاج للبدة بامتلاك سفن تجارية لنقل البضائع والمسافرين ، حيث كانت ترسل إلى قرطاج إمدادات كبيرة من المواد الغذائية ، وكذلك تقديم الجنود وقت الحرب ، ويدل على ذلك تكرار أسماء مجموعات ليبية في الجيش القرطاجي [1] .

وقد منعت قرطاج المدن الليبية من الاحتفاظ بقوات عسكرية ، حيث تكفلت العاصمة بالدفاع عنها عند الحاجة أسوة بالمستعمرات الفينيقية الأخرى في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، بعد أن حلت محل أمها صور عقب وقوع الأخيرة تحت السيطرة البابلية في القرن السابع ق.م .

وهكذا نرى أن الاستقلال الذي كانت تمنحه قرطاج إلى المدن التابعة لها كان استقلال شكلياً لا يسمح بوجود اتحاد كونفدرالي بين هذه المدن.

وتدل الشواهد الأثرية على أن السياسة التي اتبعتها قرطاج أدت إلى عرقلة نمو هذه المدن ذلك أن مدينة صبراته لم يحدث فيها أي توسع خلال القرن الثالث ق.م ، و أن التطور الذي حدث في هذه المدينة خلال القرن الثاني ق.م يعود إلى تحررها من السيطرة القرطاجية بعد تدمير الأخيرة على يد الرومان وهو ما أتاح الفرصة للمدن الثلاث لكي تتمتع بالاستقلال الذي سمح لها بجني ثمار الرخاء الذي أصبحت تنعم به [(2)] .

وتدل الشواهد الأثرية على وجود علاقات تجارية بين مدن الامبوري وصقلية خلال هذه الفترة و وهو ما يعطي دليلاً على خروج هذه المدن من العزلة التي كانت مفروضة عليها وانفتاحها على العالم الخارجي [(3)] . وقد استمرت هذه المدن تسك عملتها وتحتفظ بجنسيتها الفردية ، كما كان لها مؤسساتها السياسية ،حيث نجد نظام الشفطم(القضاة أو الحكام) في هذه المستوطنات [(4)] ويذكر المؤرخ سالوست أنه كان للبدة الكبرى قوانينها ومؤسساتها الدستورية الخاصة ،وكان التشريع والقضاء والإدارة في أيدي قلة من أثرياء المدينة ،ويبدو أن النظام السياسي فيها كان مماثلاً لما هو موجود في قرطاج ، ويدل على ذلك نقيشة بونية عثر عليها في حمامات الإمبراطور هادريان العامة في هذه المدينة جاء فيها ذكر لوظائف حكام تماثل وظائف

---

(1) Polybius, 23,2.

(2) Divita , A.' Il Mausoles Punico Ellenistico (B)di Sabratha' , Mdair83, 1976. p273- 285; Longerstay , M. op. cit. p.833.

(3) عبدالحفيظ فضي الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ،ص .124

(4) على سبيل المثال : تاروس (في بلاد الإغريق) مالطا، صقلية ، قادس (في أسبانيا) ، ولبدة الكبرى (في ليبيا).

نضرائهم في قرطاج [1] ، ومن هؤلاء الحكام الشفطم وهي تعني في اللغة الفينيقية القاضيان (أو الحاكمان) و الشفطان كان يجري انتخابهما سنوياً من أرستقراطية المدينة ووظيفتهما من أهم الوظائف ، وهي تأتي في أعلى السلم الإداري [2] . وفي العادة تؤرخ بسنة حكمها كما هو واضح من نقوش لبدة الكبرى [3] ويبدو أن المدن لم تكن الأساس الوحيد لاختيار هذين القاضيين في قرطاج ، وإنما يتم انتخابهما سنوياً ، على أساس الثروة والجاه والنفوذ [4] ، أو عملية الانتخاب هذه ربما كانت ممكنة .

و إلى جانب القاضيين يفترض أنه كان هناك مجلس شيوخ ومجلس شعبي في لبدة ، وهما ربما كان صورة مصغرة لمجالس قرطاج الشعبية ، حيث يصف أرسطو النظام الحكومي القرطاجي بأنه يتألف من اثنين من الحكام (الشفط) ومجلس شيوخ من ثلاثمائة عضو ، ومجلسين آخرين منتخبين ، وهما مجلس المائة و أربعة ، ومجلس الثلاثين، وهما يتكونان من أكثر أفراد المجتمع ثراء ونفوذاً و يسيطران على أجهزة الدولة . وقد استمر العمل بهذا النظام حتى زوال قرطاج ، ويذكر ارسطو أن خمسة أعضاء من مجلس الشيوخ كانوا في وظيفة الجنرالات الخمسة كان يتم انتخابهم من الشفطم من قبل مجلس الشعب ، وكان من واجب الجنرالات الخمسة انتخاب أعضاء المحكمة [5].

والواقع أن النظام القرطاجي لا يختلف كثيراً عن النظام الإغريقي (النظام الثلاثي في أثينا) و النظام الروماني(قنصلان) مجلس الشيوخ ومجلس العامة،وقد يدل هذا على أن النظم السياسية القرطاجية كانت في الأساس عبارة عن عملية ملاءمه بين الميراث الفينيقي وخصائص البيئة التي احتكوا بها في الغرب [6] ، حيث نجد الثنائية في

الأشخاص ومدة السنة المحددة لوظيفة الشفطم (الحاكمين) ولوظيفة القنصلية الرومانية كلها تعكس هذا التواصل الحضاري .

وقد ورد في نقائش لبدة الكبرى أسماء موظفين كبار يدعون محازيم وكانوا جباة للضرائب و الرسوم الجمركية ويدخل في نطاق عملهم مراقبة الأسعار وتوفير السلع التموينية في

---

(1)
I P T 17.

(2) يذكر المؤرخ الروماني ليفي (Livy .X X V I I I372) أن القائد القرطاجي ماجون عندما أراد دخول قادس بجيشه طلب من القاضيين في هذه المدينة السماح له بذلك ، مما يدل على أن سلطتهما كانت أعلى سلطة في المدينة.

(3)
I P T 17.

(4) Aristotle,Politics,II 8,2-9.

(5) Ibid. 8, 5, 3.

(6) Markoe,G. op cit, p88 ff.

الأسواق [1] ، وكانت قرطاج تبعث بموظفين لتولي الإشراف على جباية الضرائب والرسوم الجمركية ولمراقبة نشاط الموظفين وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتهم بالأجانب الذين كانوا تهتم العاصمة القرطاجية بمراقبة نشاطهم داخل الإقليم [2] .هذا وبالنسبة للنظم السياسية في مدن الإقليم الثلاث ، فإنه بالنظر لوقوع هذه المدن تحت السيطرة القرطاجية ولوجود وظائف الحكام في مدينة لبدة [3] تماثل وظائف حكام قرطاج ، فإن هذا يبعث على الاعتقاد في وجود تشابه في تكوين وواجبات المجالس الشعبية في المدن الفينيقية الليبية والعاصمة قرطاج .

ويمكن القول بأن العزلة التي فرضتها قرطاج على هذه المدن وحرمانها من الاتصال بالعالم الخارجي ومنعها من تكوين جيش أو أسطول أدى على تقليص سلطات النظام الحكومي والمؤسسات الشعبية خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والدفاع التي أصبحت من واجب الدولة القرطاجية .

وفيما يتعلق بعادات الفينيقيين وأساليب الحياة في مدن الإقليم و أوجه النشاط الاقتصادي التي مارسها السكان ومظهرهم الخارجي . من الطبيعي أن يستمر الفينيقيون الذين جاءوا إلى شمال أفريقيا في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم التي ألفوها في بلادهم الأصلية .

اعتقد الفينيقيون في الغرب خاصة الشمال الأفريقي – أنه بعد حياة مليئة بالبطولات – يخلد الإنسان في حياة نعيم ، ومن ابرز الأعمال البطولية التي قام بها القرطاجيون انتحار الأميرة عليسة مؤسسة قرطاج (4) ، وكذلك انتحار القائد القرطاجي هملكار في معركة هميرا عام 480 ق.م في صقلية (5) ، و أيضا انتحار الأخوين فيلاني من أجل تسوية الحدود (6) بين قرطاجة وقورينا في خليج سرت الكبير عند موقع الرأس العالي . ومن العادات التي مارسها الفينيقيون الختان الذي تخلوا عنه نتيجة احتكاكهم بالإغريق (7) ، وكذلك ممارسة البغاء المقدس حيث العذراء تسلم نفسها في معابد الإلهة عشتار إلى من يرغب في ممارسة الجنس معها، ومن عادات

---

(1) I P T 17 , 3, 5; I RT , p599; Elmayer , A . F.in LIBI Stud Romnelli,Lepcis (2), vol.15,1984, p.93.
Magna ,op. cit.p.9.

(3) I P T ,17.

(4)
Herm .G. op. cit. p182.

Didorus XVI,95-96; Moscstli .S .The World Of the Phoenicians, op. cit. p.120. **(5)**

Sallust ,Bel. Jug.79.3. **(6)**

Herd.I I ,104. **(7)**

الفينيقيين البكاء التقليدي على الأبطال الشجعان. ومن العادات الغذائية عند الفينيقيين اجتناب آكل لحم الخنزير ، وعدم صلاحيته كأضحية [1] ، ويفضل الحيوان الأيل (الكبش) كقربان في مناسبات معينة، وكذلك التقليل من تعاطي الخمر [2] ، هذا و يبدو أن الفينيقيين الليبيين في المدن الثلاث كانوا يتجنبون آكل لحم الخنزير و لا يستخدمونه كقربان لألهتهم ، حيث الاكتشافات الأثرية تدل على تقديم الأضاحي الحيوانية المعتادة مثل الماعز والأغنام والبقر والغزال كقرابين [3] .

و لتأكيد الروابط الأسرية و الاجتماعية جرت تسمية الطفل باسم الجد وتسجيل أسماء الآباء والأجداد لتأكيد نسبة الشخص وربطه باسم الإله كحماية له عند الولادة و طول حياته ، كما يعتبر الإله سيد الإنسان وولي نعمته ، فنجد أسماء وردت في نقائش عثر عليها في الإقليم مثل عبد اشمن ، عبد ملكارت ، وأمة بعل (خادمة بعل) . وفي العادة كان للعائلة معتقداتها الخاصة وهي تختلف عن تلك التي تمارسها جماعة المدينة وكان الآلهة يسمعون دعاء المخلصين و يباركونهم ويشفونهم وينعمون عليهم بالرزق والسلام ، و يعاقبون من يدنس القبور و معابد الآلهة [4] ، وفي النقائش البونية التي عثر عليها في الإقليم كثيراً تتردد في آخر النقيشة عبارة " سمع دعاؤه وباركه" [5] .

ومن عادة الفينيقيين تفسير الأحداث و أسباب الكوارث والأمراض المعدية و الجفاف ، على أنها دلالة على غضب الآلهة وأن الأمر يستوجب عمل كل ما من شأنه تخفيف غضبها ونيل رضائها .

ومن التقاليد المعروفة عند الفينيقيين التأريخ بعهود الحكام ملوكاً أو قضاة ، حيث تشير نقوش لبدة الكبرى إلى سنة حكم القضاة [6] .كما جرت العادة عنهم إطلاق كلمة

المقدس على المواقع التي لم تدنس وتكون مناسبة لإقامة احتفالات دينية أو بعض المدن مثل قرطاج ومذبح الأخوين فيلاني الواقع عند خط الحدود بين قرطاج وقوريني[7] . وتعتبر المعابد مقدسة لكونها

---

(1) Lucian ,De Dea Syra, 54.

Clerment Gan eau,In (2)

the Journal of Asiatique Serie , V I I ,vol.X, 232 ,444.

(3) انظر مقالتنا "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية "

،مجلة آثار العرب العدد21–22، 1999،ص 31–41.

(4)

Rabichiini,S . 1995 ,Les Mentalites, cPP34-8.

(5) عبدالحفيظ فضيل الميار،" دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية "، المرجع السابق

،ص 137–141 ؛

(على سبيل المثالI P T 31-8)

(6)

Ribichini,S. 1995 C PP,op.cit.p.342-343.

(7) المرجع نفسه ، ص 102–109 ؛ I P T 17.1 .

بيوتاً للآلهة ، ووفقاً لما جاء في العهد القديم (التوراة) يسمى المكان المقدس بالعبري " توفيت" (Tophet)، كما جرى تقديس بعض الأماكن الطبيعية مثل عيون المياه و الجبال والكهوف والشمس و " بعل شميم " (سيد السماء) [1] .

لم يجر اختيار مواقع المدن الثلاث في إقليم طرابلس ، بمحض الصدفة وإنما تم ذلك لاهداف أساسية منها وجود موانئ صالحة لرسو السفن ، ووقوعها في منطقة زراعية ، ووجود طبيعة تربطها بالمناطق الداخلية من الإقليم .

و بفضل مواقع هذه المدن كان باستطاعة السكان ممارسة اوجه نشاط اقتصادية متعددة مثل التجارة البحرية ، صيد السمك و الاشتغال بالزراعة ، والاتصال مع المناطق الداخلية بيسر وسهولة [1] .و لازالت مخططات المدن التي بناها الفينيقيون الليبيون غير معروفة بسبب إقامة المدن الرومانية والحديثة فوقها ، كذلك عدم وجود مصادر أدبية تصف تخطيط هذه المدن ، ومع ذلك تستطيع معرفة الملامح العامة لها عن طريق التماثل . ويتحدث استرابو عن مدينة صور فيذكر أن بيوتها كانت تتألف من عدة طبقات و أن شوارعها كانت ضيقة ، وأنها أعلى من المباني الرومانية [2] ، و ابيان ذكر أن بيوت قرطاج كانت تتألف من ستة طوابق و أن شوارعها كانت ضيفة [3] . وبصفة عامة بيدو أن شوارع المدينة الفينيقية كانت ضيقة ، فضلاً عن تلاحم بيوتها مع ارتفاع بعضها طبقات . وتشير الأدلة إلى وجود مؤشرات للفن المعماري الإغريقي والبوني في إقليم طرابلس خلال العصر الهلينستى دل على ذلك الدراسة التي قام بها دي فيتا لبعض المباني في مدن الإقليم من بينها الضريح البوني (ب) في صبراته ، والذي يرجع تاريخه إلى القرن الثاني ق.م وهو ثلاثي الشكل وتصميمه مرتبط بالفن المعماري الهيلينستي ، و بالرغم من أن الزخرفة النحتية للأوجه الثلاث المقدسة متأثرة بالفن الشرقي الإغريقي ، إلا أن التأثير الفينيقي واضح فيه [4] .

وتشير الأدلة إلى وجود مؤشرات فينيقية ليبية في الفن المعماري وبناء المدن في

---

(1) Ribichini,S. 1995 C PP,op.cit.p.342-343.

(2) عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 138.

(3) وهي شروط أساسية كان الفينيقيون يراعونها عند اختيار مواقع المدن ، راجع الدراسة التي أجراها سنتاس حول هذا الموضوع:

- عبدالحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، ص 118-119.

(4) Strabo,XVI,2,23.

(5) Apian,Lyb,128.

(4) Divita .A, 1976, IL Mauso les Punico-Ellenstico B el Sabratha,MDAIK83, p273-285.

طرابلس الرومانية [1] ، ذلك إن تخطيط وبناء هذه المدن قد تأثر بما سبقه من أبنية ليبية فينيقية وكمثال على ذلك وجود انحراف بسيط في خط اتجاه المباني الواقعة بالقرب من مصب وادي لبدة عند شبكة الشوارع الممتدة حول الميدان العام ، والذي نجم عنه عدم الانتظام في مخطط مدينة لبدة الكبرى ومثله عدم الانتظام في مخطط مدينة صبراته شمال الميدان [2] ، وقد يدل هذا على أن تخطيط المدن الفينيقية ربما كان مقارباً لتخطيط المدن الرومانية التي بنيت فوقها .

ويرى ورد بيركنز أن ندرة الأدلة فيما يتعلق بالمعمار الفينيقي الخاص بالنصب التذكارية أو البيوت السكنية في إقليم المدن الثلاث يرجع إلى استخدام الحجر الرملي الهش ، كما أن المجسات القليلة وعمليات الحفر التي أجريت تحت الميدان القديم في لبدة الكبرى لم تقدم معلومات في هذا الصدد [3] .

وعلى أية حال فإن الأدلة المتوفرة حتى الآن تشير إلى أن تاريخ استخدام الحجر في البناء يرجع إلى حوالي النصف الثاني من القرن الرابع ق.م ، وهي الفترة التي حدث فيها توسع جنوب الميدان وشرق معبده [4]. وبالنسبة لبيوت الليبيين الفينيقيين في إقليم المدن الثلاث لا يتوفر لدينا معلومات كافية لرسم صورة واضحة لها ، ذلك أن ما تم من أعمال التنقيب حتى الآن عن المستوطنات الفينيقية في هذه المدن محدودة جداُ ً ، اقتصرت على مجسات قليلة والكشف عن بعض المدافن ، لذلك تبقى مسألة البحث عن هذه البيوت وهندستها معلقة على الرف حتى يتم الحصول على معلومات جديدة وكافية عن أبنية هذه المستوطنات و شكلها الداخلي ، وهي ربما كانت مماثلة لبيوت

القرطاجيين التي يسكنها العامة حيث هي مقامة على أساس من الحجارة ومبنية بالطين ، وكانت البيوت متلاصقة والشوارع ضيقة كما اسلفنا .

وفيما يتعلق بأثاث بيوت الفينيقيين الليبيين فإننا لا نعرف سوى القليل ، وذلك إما من اللقيات التي عثر عليها في الإقليم ، أو ما وجد من أثاث جنائزي عثر عليه في مقابر مدن الإقليم ومن الحاجيات التي تم العثور عليها مصابيح فخارية الصنع تشبه براريد الشاي أو كروية الشكل اغلبها أحادية العنق ، وفي مقابر باب بن غشير عثر على جرار يرجع تاريخها إلى القرن

Ward- Perkins,J.B1971, "Preromnos elements in the (1) architecuerof Tripolitania" in LH (ed) 1969,p101-116.

Mattinghy (2) ,D. Tripolitauia ,Baltsford ,1995,P.118.

Ward -Perk. ns , J.B.' Quarries and Stone Workig IN the (3) Ealy Middle Ages : The Heritage of the Aucient World in Settimene di StudioDel Centra Italiano di Studi Alto Mattigly.D, 1995, (4)Medioevo18,p. 525-544. Tripoltania,p.125-126.

الثالث ق.م ، وهي مستطيلة الشكل أغلبها لها عنق طويل ومجموعة من الصحون الفخارية مطلية باللون الأسود من النوع الكمباني ، وهو ما يدل على وجود علاقات تجارية بين مدن الإقليم و إيطاليا ، وفي مقابر مليته الفينيقية (القرن الأول ق.م) عثر على حصير ، وفي مقابر لبدة عثر على أسرة من البرونز (1) .

واستخدم زيت الزيتون كوقود في إشعال المصابيح لإنارة البيوت ، وقد اشتهر إقليم المدن الثلاث بوفرة إنتاج زيت الزيتون ويؤكد ذلك الغرامة التي فرضتها يوليوس

قيصر عقب انتصاره في معركة ثابسوس على خصومه من أنصار بومبي (Pompy)، وضم الإقليم إلى الأراضي الرومانية [2] .

و بالنسبة لسكان المدن الفينيقية الساحلية نجد قدماء المؤرخين يشيرون إلى سكان المنطقة الممتدة من سرت حتى المحيط الأطلسي على انهم من الليبيين الفينيقيين وقد أطلق الإغريق هذه التسمية في الأصل على سكان السهول الساحلية الواقعة بين قرطاج وبيساكينا ، وحدد سترابون بدقة مواطن الليبيين الفينيقيين بين الطرق الجنوبي لخليج سرت الصغير و كيفالاى (قرب مصراته)، وهم بذلك كانوا يشكلون غالبية سكان مدن إقليم طرابلس الساحلية " لبقي(لبدة الكبرى) صبراتن (صبراته)، ويات (طرابلس) ، جيغيش (بوقارا) ، وتكابي (قابس) [3] .

وتشير الأدلة إلى أن الفينيقيين الليبيين كانوا يشكلون العنصر الغالب في المدن الساحلية الثلاث وليس النازلين الأجانب ، ذلك أن الطابع الفينيقي للمدينة تؤكده الاكتشافات الأثرية الحديثة التي عثر عليها في المدن ، ففي لبدة تدل النقائش [4]، على أن أرستقراطية هذه المدينة وحكومتها هم من عنصر الليبيو – فينيقي ، و انه كان هناك هيئتان بارزتان في المدينة وهما (الادرا)[5] أو (الادرنم) وتعني السادة ، و الثانية " عم " (الشعب) و الشعب هو مصدر السلطات .

وبناء على ما جاء في مخطوطة كاليقاري فإنه الهيئة الأولى "ادرنم " تعتبر أعلى طبقة في ـــــــــ

(1) لمزيد من المعلومات عن محتويات المقابر باب بن غشير وبرج الدالية الفينيقية ، راجع : محمود الصديق أبو حامد و آخرون ، " أخبار أثرية" ، مجلة ليبيا القديمة ، العدد11-12 (1975/1974)، ص 236-247 ؛ محمود عبدالعزيز النمسي و رفيقة ، المرجع السابق ، 1977، ص 236-247.

(2) Cas . Bef.Afr.97-3.

(3) من المؤرخين الذين أشاروا

على مواطن عنصر الليبيو فينيقي هم:

Diod .X X .LV4; T.Livy . X X 22 ; XXV 40; StraboX V II.3.19; Ptolemy IV.3.6.

(4)
I P T17.

(5)
I P T 27-7.

السلم الاجتماعي الفينيقي [1] ، و أفراد هذه الطبقة هم من أثرياء المدينة و أصحاب النفوذ الذين لهم حق في تقلد الوظائف العليا مثل الشفطم (الحكام) ومن بين حكام لبدة الذين ورد ذكرهم في نقائش هذه المدينة الشفطم ومساعدوهم (المحزم) [2] .

وهذا يؤكد غلبه العنصر الفينيقي في هذه المدن وظهوره على بقية العناصر الأخرى و إلى دعم السياسة القرطاجية ، وأيضا يؤكد الطابع الفينيقي لهذه المدن الاكتشافات الحديثة التي تتعلق بدور العبادة حيث عثر على معبد للإله شادراب و الإله ملك عشترت الفينيقيين في ميدان لبدة ، وهما الإلهان الحارسان لهذه المدينة وجد فيه نقيشة باللغة البونية مكرسة لهذين الإلهين [3]. وفي ويات عثر على معبد توفيت في موقع الغيران في الضاحية الغربية لهذه المدينة [4] .

وفي صبراته عثر على توفيت غربي مركز المدينة و كذلك حوض رخامي مكرس للإله بعل ساتورن ، وهو يحمل نقشاً مكرساً للإله بعل باللغة البونية [5] . و لاشك أن وجود هذه المعابد واستمرارية استخدام اللغة البونية يدل و لاشك على غلبة العنصر الفينيقي في مدن الإقليم [6] .

المعلومات التي في حوزتنا عن الأوضاع الاجتماعية في هذه المدن قليلة إلا أن قرب هذه المدن من قرطاج العاصمة ، وخضوعها لسيطرتها وارتباطها بها وتعرضها ليتار الحضارة القرطاجية لابد و أن يكون لذلك تأثير حضاري في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وعليه فقد لا تختلف الأوضاع الاجتماعية في هذه

المدن عن تلك الموجودة في قرطاج ، حيث يصنف السكان في الأخيرة إلى ثلاث طبقات :أحرار ، نصف أحرار وعبيد .

ويتبين من حديث ديودوروس الصقلى وجود فوارق طبقية في تركيبة المجتمع في المدن الساحلية ، فهو يذكر أن الفينيقيين الذين يسكنون قرطاج وعنصر الليبيو– فينيقي الذي يسكن المناطق الساحلية لهم نفس الحقوق والواجبات ، وهو أمر أكده بوليبوس [7] من خلال حديثه عن

---

(1) Sch.ffman,in CCP,P. 34 A.

(2) I p T 17.

(3) I P T3.

(4) Taborelli, L .LeStele Neo Pumiche Da OSI di Gheran ,Karthago X X I I I ,19995,P31-41.

(5) Rosi and Garbini,Nauvi Documenti Epigrafici Della Tripolitania Romana, LA13-14 (1976-1977), P7-20.

(6) لزيادة المعلومات حول " استمرارية اللغة و الثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس العصر الروماني " مقالتنا منشورة في مجلة آفاق التاريخية ، العدد الأول (1998) ص 93–124.

(7) Polybius,V I I ,9.15.

الاتفاقية المبرمة بين حنبعل وفيليب ملك مقدونيا ، والمعروف أن الطبقة الأولى من سكان قرطاج يتمتعون بجميع الحقوق حسبما يذكر أرسطو [1] مثل لإعفاء من الضرائب والتجنيد ، كما يحظون باحترام الدولة ، وكان الحال كذلك بالنسبة لسكان المدن الساحلية

من عنصر الليبيو فينيقي فهم يتمتعون بنفس الحقوق ويمثلون مصالح قرطاج في المناطق الأخرى [2] ، أما الطبقات الشعبية الدنيا فقد كان وضعها مماثلاً لوضع مثيلاتها في قرطاج حيث فرض عليها التجنيد الإجباري ودفع الضرائب الباهظة .

وعلى أية حال فإن التنظيم المدني والسياسي في المدن الفينيقية الليبية كان مقارباً لما هو موجود في قرطاج و أن مجتمع المدينة في الإقليم كان يتألف من الطبقات التالية :

1- **طبقة السادة** : وهي تتآلف من أثرياء الطبقة الأرستقراطية من عنصر الليبيو – فينيقي في المدن الثلاث وهي في قمة الهرم الاجتماعي في المدن الفينيقية ، وتتمتع بجميع الحقوق مع الإعفاء من الضرائب والتجنيد ، ولها الحق في تقليد الوظائف وهي متميزة عن طبقة الأحرار :

2- **طبقة الأحرار** : وتتكون من الليبيين الفينيقيين الذين يسكنون المدن الساحلية ، وهي مثل أفراد الطبقة الأولى من سكان قرطاج يتمتعون بجميع الحقوق ومعفون من الضرائب والتجنيد.

3- **طبقة نصف الأحرار** : وربما يقصد بهم الليبيون المقيمون في نطاق المدينة وهم لا يتمتعون بجميع حقوق المواطنة ويدفعون الضرائب ويجندون إجباريا.

4- **طبقة العبيد** : وهم المحرمون من جميع الحقوق .

وبالإضافة إلى هذه العناصر يوجد عنصر الأجانب حيث دلت الاكتشافات الأثرية على وجوده في المدن الفينيقية – الليبية الثلاث ، فقد عثر على قبور دلت أسماء أصحابها على انهم من الأجانب ومن غير الليبيين الفينيقيين وعثر على عبادات أجنبية

مصرية وإغريقية فارسية ، كما عثر على معابد لممارسة الشعائر الخاصة بهذه العبادات ، وبما أن المعلومات الموجودة لدينا تتحدث عن قرطاج كبلد له حضارة عريقة تحترم الحريات الأساسية باستثناء المشاركة في قرارات الدولة ، وهذا يبعث على الاعتقاد بان حرية العبادة كانت مكفولة بالنسبة للأجانب في مدن الإقليم كغيرهم من العناصر الأجنبية التي كانت تعيش في المستعمرات القرطاجية الأخرى ،

Pol. I I ,4.8. **(1)**

Livy X X I ,I L (2)

,13,LXI,15.

حيث يذكر ديودورس [1] ، أن القرطاجيين سمحوا للجالية الإغريقية في موتيا (بصقلية) بحرية العبادة وبمحاكمهم الخاصة .

ونستخلص مما سبق أن قرطاج منحت مدن الإقليم استقلالهم ذاتياً واسعاً وتركت للبده الكبرى حرية التصرف في شئونها الداخلية و الاحتفاظ بحكامها وقوانينها مع وجود طبقة

" الادرنم" (السادة) على غرار ما كان موجوداً في قرطاج ، كما سمحت لها بحرية العبادة ، حيث كانت تمارس في هذه المدينة عبادة الإلهين الفينيقيتين ملك عشترت والكون ارض دون غيرها من مدن الشمال الأفريقي [2] .

وهذا يبعث على الاعتقاد بان ويات وصبراته كانتا تتمتعان باستقلال ذاتي وتحتفظان بقوانينهما وحكامهما على غرار لبده الكبرى ، وفيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي لسكان الإقليم فقد كانت الزراعة في المركز الأهم نظر لوقوع المستوطنات الثلاث في مناطق زراعية خصبة ، خاصة ويات ولبده الكبرى ، ومع أن هذه المدن نشأت كمراكز تجارية (امبوري) ، إلا أن سيطرة قرطاج عليها و احتكارها للتجارة البحرية جعل هذه المدن توجه اهتمامها إلى الزراعة واستغلال الأرض [3] ، ونجم عن ذلك توسع كبير في

مجال الزراعة وغرس الأشجار ، وحظيت زراعة الزيتون وكروم العنب باهتمام القرطاجيين في شمال أفريقيا [4] واشتهرت لبدة بوفرة إنتاج الزيتون الذي كان بمثابة العملة الصعبة لهذه المدينة [5] . ولأهمية زيت الزيتون فقد كان الإقبال عليه شديداً حيث يعتبر سلعة رائجة في الأسواق في العالم القديم ، و كان إقليم المدن الثلاث من المناطق التي لها دور في توفير هذه المادة [6]، ولا شك أن هذا الدور الذي حققته المدن الفينيقية الليبية كان نتيجة للخطة العامة التي وضعتها قرطاج لاستثمار الموارد الزراعية والحيوانية وتطويرها ، حيث

كانت تسيطر على مساحات شاسعة من الأراضي في الشمال الأفريقي ، مما جعلها تهتم بالزراعية ـــــ

(1) Bondi .S.F,Diritri Fordamentali Della Persana E Liberta Religiosa , Att Del Vcolloquio Giuridico (8-10 Mars1984), Roma,p217-221,Ribichini,1995,C PP,P330.

(2) احتفاظ لبدة بحكامها وقوانينها ;Sallust Lug78

الشفطم I P T17 ، الادرا (السادة) I P T 27 الإله ملك عشترت I P T 31 الإله الكون أرض I P T 18.

(3) Longerstay .M, op .cit.p836.

(4) Caes ,Bel. Afr. 97 ; Mattinghy ,1988D.Olea Mediterranean,in J R AI: 153-61.

(5) روستنفتزق ، م. تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ،ج1، ت/زكي علي ورفيقة ، مطبعة مصر،دار النهضة العربية ، 1957، ص 381.

(6) Matlingly,D.1988 . " Olea Mediterranean " , op.cit.p.33-56.

باعتبارها مورداً اقتصادياً له أهمية كبيرة [1] . وقد ادخل الفينيقيون طرقاً جديدة في المجال الزراعي وتوجيه الإنتاج مثل التركيز على محصول واحد وغير ذلك من الطرق والأساليب الزراعية التي تناولها العالم القرطاجي ماجون في بحثه الذي ترجمه الرومان إلى لغتهم لمعرفة ما تضمنه من معلومات مهمة والاستفادة منها، وقام الفينيقيون باستخدام وسائل جديدة لحفظ مياه الأمطار والاستفادة منها ، وذلك بإقامة صهاريج عثر على آثارها في بعض مناطق الإقليم مثل لبدة الكبرى والجبل الغربي [2]، وأيضا بناء السدود التي آشار سترابون إلى أحدها عند مصب وادي كعام [3] ، كما أدخلوا تحسينات على الأدوات و المعدات الزراعية مثل استبدال السكة الخشبية للمحراث الذي كان يستخدمه الليبيون بسكة حديدية [4] .

أن التوسع الذي حدث في أراضى المدن الساحلية وامتدادها إلى الجنوب يعود إلى استيعاب قبائل الجبل ومنطقة مادون الصحراء مثل قبائل المكاي والجيتولي . ويدل انتشار اللغة والثقافة الفينيقية في هذه المناطق على أن التوسع في استصلاح الأراضي وتهيئتها للزراعة قد تم على أيدي الليبيين – الفينيقيين وقبل وقوع إقليم المدن الثلاث تحت النفوذ الروماني .

و قد أدى الاهتمام بالزراعة والتوسع في استصلاح الأراضي وتطوير وتحسين المعدات الزراعية المستخدمة إلى زيادة الإنتاج الزراعي ، و إلى تمتع المدن بازدهار اقتصادي جعلها من أغنى المدن في الشمال الأفريقي عند استيلاء الرومان عليها ، ويدل على ذلك الجزية الباهظة التي فرضها يوليوس قيصر على لبدة الكبرى بعد انتصاره في معركة ثابسوس و البالغة حوالي ثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون [5] .

و على آية حال فإن الازدهار الذي حققته المدن الثلاث قد جاءمن مصادر متعددة فإلى جانب الزراعة اهتم السكان بتربية الأغنام والمواشي ، فقد ذكر هيرودوت أن قبائل المكاي كانت شعباً يعيش على الرعي ويكونون اكبر عدد من سكان ليبيا الساحلية و أن مضاربهم كانت تصل

Bondi.S.F. 1985,l, Alimentazione nel Mondo Fenicio Punico (1) .L,Asopets Econonic Industrile L, Alimentazione Nell Antichita ,Parme,1985, p.169-184.

(2) عبد الحفيظ الميار ،" اكتشافات أثرية جديدة في منطقة الجبل الغربي "، ثرات الشعب، لسنة 18، العدد3-4 (1998) ص 96 ؛طه باقر ، لبده الكبرى ، مصلحة الآثار طرابلس ، ص21-88 .

(3)دي سانجس .جيان ، " البربر الأصليون"، (تاريخ أفريقيا العام ج2)، جين افريك ، اليونسكو ، 1985 ، ص434 .

(4) المرجع نفسه والصفحة .

Caes .Bel.Afr.97. (5)

إلى سهل كينبس (وادي كعام) الخصيب [1] ، وتحدث هذا المؤرخ عن رحلة النسامونيس السنوية من المنطقة الساحلية بخليج سرت إلى واحة أوجلة لجني التمور [2] ، ويذكر ديودوروس[3] أن أفراد هذه القبيلة كانوا يعتنون بتربية الأغنام والمواشي ،كما تحدث بوليبوس [4]عن كثرة الحيوانات في ليبيا و أن معظم الليبيين لا يشتغلون في الزراعة ، و إنما يعتمدون على ثروتهم الحيوانية ، ونجد البعض يتحدث عن كثرة الأغنام في ليبيا وجودة أصوافها [5] ، و خلال العهد الفينيقي استمر الاهتمام بتربية الأغنام في إقليم المدن الثلاث وحتى فترة متأخرة ، فقد كانت الأغنام تقدم كقرابين إلى الآلهة لاسترضائها و رغبة في مساعدتها ، حيث دلت الاكتشافات الأثرية على وجود بقايا هذه القرابين في معابد الآلهة الفينيقية (التوفيت) التي عثر على البعض منها في أماكن مختلفة من الإقليم مثل رأس المنفاخ(غربي صبراته)و الغيران (غربي ويات)[6] .

و إلى جانب الزراعة والرعي أقام الليبيون الفينيقيون بعض الصناعات أهمها :

1- صناعة زيت الزيتون : وهو يعتبر دعامة أساسية في اقتصاد مدن الإقليم الثلاث ، و لازالت آثار معاصره منتشرة في الإقليم بكثرة .

2- صناعة الخمر حيث نجد سترابون يشير إلى أن قبائل النسامونيس الليبية كانت تقوم بتهريب الخمر ومبادلته بالسلفيوم القوريناني في سوق كاراكس (قصر الزعفران) [7] .

3- صناعة الخوابي (Amphorae) التي عثر على عدد كبير منها في الإقليم و كانت تستخدم في حفظ و نقل الحبوب والسوائل (الزيت و السمن والعسل) ، وفي أماكن مختلفة من ليبيا عثر على خوابي يرجع تاريخها إلى الفترة من منتصف القرن الخامس ق.م، وحتى أواخر القرن الثالث ق.م، وتدل الشواهد الأثرية على وجود ارتباط قوي بين إقليم المدن الثلاث وشمال تونس خاصة قرطاج ، كما وأن نسبة الجرار المصنعة في تونس وطرابلس تصل إلى أكثر من 90 % من كمية

الجرار التي تم حصرها في صبراته ، و قد أدت صعوبة التمييز بين الأواني الفخارية الطرابلسية و تلك التي جرى صنعها في المناطق التي تقع غرب إقليم المدن الثلاث من ساحل شمال أفريقيا ـــــــ

(1) Herodotus,I V 173; IV,18-187.

(2) Ibd I V ,173,174.

(3) Diodorus ,L II ,49.

(4) Polybius, X I I ,3,3.

(5) Martial ,X C V .V I I ,CXL,XI I I ;Vergil,I I I ,312.

(6) Strabo , X V I I .3.20.

(7) Fulford. M.G,1989,' To Eastand West:the Mediterrauean Trade of Cyrenaica', Lib.Stud. 20:181.

خاصة تونس إلى عدم معرفة الكمية المنتجة في المدن الساحلية الثلاث بالنسبة للإنتاج الكلي في الشمال الأفريقي [1] ، ويوجد نوع معين من الخوابي تصنعه في إقليم الأمبوري عثر عليه في أماكن أخرى مثل الساحل التونسي ، صقلية ، غربي إيطاليا ، سردينيا ، كورسيكا وجنوب فرنسا [2] . ومن الصناعات الأخرى التي مارسها الليبيون في الإقليم – صيد السماك– وتصنع منتجاته ، ففي المنطقة الساحلية من غرب طرابلس دلت الاكتشافات الأثرية على وجود منتجات سمكية على نطاق واسع عل طول خليج ساحل سرت الصغير [3] وفي المنطقة الساحلية من شرق طرابلس ، يشير بليني إلى وجود صناعة الهاروما في لبدة الكبرى وهي عبارة عن تمليح السمك وتجفيفه [4] ، ويتحدث سترابو عن وجود هذه الصناعة في مدن الإقليم الأخرى مثل ماكوماكو (جنوب سبخة تاورغا) ومدينة زوخيس التي تصنعها المصادر على أنها تقع على مسافة يوم من الإبحار في غربي ويات [5] . ومن الصناعات الأخرى التي تشير الأدلة الأثرية على ممارستها في الإقليم " صبغة الأرجوان" التي اشتهر الفينيقيون بصناعتها ، فضلاً عن إقامة صناعات أخرى مثل النسيج والزجاج و السفن [6] .

و إلى جانب الزراعة وتربية الحيوانات فقد اشتغل سكان المستوطنات الفينيقية على الساحل الليبي بالتجارة في المنتجات الزراعية خاصة زيت الزيتون ، وكذلك السلع التي كانت تحملها القوافل التجارية من أواسط أفريقيا.

ويشير هيرودوت إلى أن التجار القرطاجيين كانوا يبيعون سلعهم إلى القبائل الليبية مقابل المعادن النفيسة مثل الذهب [7] ، ويبدو أن هذا المعدن النفيس كان السلعة الرئيسة في التبادل التجاري التي استعملها سكان المنطقة الساحلية من الشمال الأفريقي . ويرى بعض الباحثين أن الذهب الذي تحدث عنه هيرودوت كان يجلب من غينيا [8] ، وهذا ولشك يؤكد الاعتقادات السائد

---

(1) Stud .20:181.

Ibid. P184-186. (2)

Paskof ,R.etal 1991,le Littorale de La (3)
Tunise Dans l, AntiquiteC R A : 535-45.

Pliny ,Nat .Hist.X X X I ,8,94. (4)

StraboX X V I I ,3,18. (5)

(6) حول هذا الموضوع راجع:

عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، ص 175–186 .

Herodotus,I V ,196. (7)

Picard,Ch .G.1968 (8)
,Daily Life in Canthage(Trans by Foster),London ,p. 222.

بان الذهب الذي كانت تحمله قوافل الجرامنت إلى المنطقة الساحلية كان يتم جلبه من أقاليم جنوب الصحراء التي يتوفر فيها هذا المعدن النفيس وهو ما جعله كسلعة صالحة للتبادل التجاري .

إن ما ذكره هيرودوت بشأن عملية التبادل التجاري بين الليبيين والقرطاجيين له أهمية خاصة ذلك أن الآخرين في مقابل المعادن النفيسة كانوا يعرضون بضائعهم سواء أكانت منتجات قرطاجية أومن بلدان أخرى مثل إيطاليا واليونان وسوريا ،حيث كان القرطاجيون يحققون من وراء ذلك عمولات ومكاسب مجزية ، وقد مكن هذا الأسلوب القرطاجيين من الاستحواذ على الأسواق التي كانوا يبيعون فيها سلعهم ، ويحصلون مقابل ذلك على المعادن النفيسة التي كانت الأساس في تكوين ثروتهم ، وهذا النظام اقتصادي تتبعه الدول الصناعية مع العالم الثالث [1] .

وتشير الأدلة الأثرية إلى انه كان هناك عمليات تبادل تجارية في بعض الأشياء مثل الأواني السوداء المزججة التي عثر عليها في مقابر جرمة والتي تعود إلى فترة

سابقة على العصر الروماني [2] ، ويوجد ما يبعث على الاعتقاد بممارسة تجارة الرقيق ، حيث ذكر هيرودوت أن الجرامنت كانوا يركبون عرباتهم التي تجرها الخيول ويصطادون الأثيوبيين السود سكان الكهوف (الترجلودايت)[3] .

ويتحدث بليني عن تجارة الحجر القرطاجي (الكربونكل) الذي عثر عليه في المواقع الجرمنتية في فزان وهو نوع من العقيق الأحمر كانت تحمله القوافل الجرمنتية إلى المدن الساحلية[4] .

و من المواد التي شملتها تجارة الصحراء الزمرد والفراء والعاج [5] وكان الأخير من السلع التي دخلت تجارة الصحراء في عصر الجرمنت والفينيقيين [6] ، وقد استخدم العاج المستخرج من أسنان الفيل في أغراض مختلفة ، حيث كانت تصنع منه أواني الشرب والمراود العاجية وتماثيل الآلهة [7] ، وقد عثر على نقوش تكرس أسنان فيل للآلهة الحارسة ـــــــ

(1) دكربه .ف، قرطاج :إمبراطورية البحر ، ترجمة عز الدين احمد عزو ، مراجعة وتحقيق عبدالله الحلو، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، 1996، ص126.

(2) Daniels ,M.the Garamantes of Southern Libya ,London ,1970, p.42-44.

(3) Herdotus,IV.181.

(4) Pliny ,Nat .Hist.V.37, 92-3, 104,175 ; Strab X V I I , 3.11.19.

(5) Picard ,ch.G.op. cit.p.222.

(6) Aurigemma ,S.1940,L, Elephant di Leptis Magna ,e il Commerico Dell avorio e Della' Ferae Libyeae' Nelgi Emporia Tripolitania,Afr .Ital.VII: 67-86.

E Imayer ,A.F.1997,Tripolitania (7)
and The Roman Gmpire ,Tripoli,p.219.

لمدينة لبده الكبرى وويات [1] . كان الفيل من الحيوانات التي تعيش في الطرف الشمالي من الصحراء الليبية [2] ، وخلال العصر الروماني كانت تصدر منه إعداد إلى روما للاستفادة من عاجه [3] , ويظهران تجارة العاج المجلوب من جنوب الصحراء كانت ذات أهمية ذلك أن لبده وصبراته اتخذت الفيل كرمز لتجارته [4] .

ويبدو أن الحظر الذي فرضته قرطاج على مدن الإقليم لم يؤثر على علاقتها الخارجية ، حيث تشير الأدلة الأثرية على وجود علاقات بين هذه المدن وبعض بلدان البحر المتوسط مثل صقلية وقوريني خلال القرن الثاني ق.م، وقبل سقوط قرطاج [5] وبعد تدمير قرطاج على يد الروماني ازدادت العلاقات التجارية بين الأمبوري وبقية بلدان البحر المتوسط ، حيث تخلصت هذه المدن من السيطرة القرطاجية ومن اكبر منافس تجاري لها حيث مكنها من ان تجني ثمن ازدهارها الذي ظهر في التوسع العمراني الذي حيث في هذه المدن خلال القرن الثاني ق.م [6] .

وبعد ضم مسنسن (ماسينسا) لإقليم المدن الثلاث إلى المملكة النوميدية حوالي 160 ق.م خرجت هذه المدن من عزلتها حيث أصبحت لديها علاقات تجارية أوسع مع بلاد الإغريق و الرومان وبقية بلدان حوض البحر المتوسط [7]. بالنسبة للواردات فإن الأدلة تشير إلى استيراد الفخار ، وذلك لتوفر الاحتياجات اللازمة من الجرار الفخارية (Amptrorae) التي كانت تستخدم في نقل المواد المراد تصديرها من منتجات إقليم الامبوري مثل الزيت والخمر و منتجات السمك .

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن برنيق (بنغازي) كانت تتعامل مع كريت وبلاد اليونان والجزر اليونانية ، بينما المدن الفينيقية تتعامل مع المناطق التي تقع غربها من الشمال الأفريقي ، حيث كانت تسد حاجتها من أواني ومعدات الطهي الفخارية باستيرادها من منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل تونس وصقلية وإيطاليا [8] .

———

Romanelli .P, iscrizione Tripolitania che Ricodu un Offert (1)
di Denti Avorio , Rend . Cont . Accad . Dei Lincei.X X I X
(1920) P.376-383.

,V.26. (2)

(3) Pliny
op. cit.p67-86.
Meiggs ,R.1973,Roman (4) Aurigemma ,S.1940,
Otia,Oxford,p.28.

Longer Stay,CPP,p.833. (5)

Divita,A.' Il (6)
Mausoles Punico - Ellenistico ', (B) Di Sabratha ,MDAIR83 (1976) , p.273- 285.

Kenrick ,P.M,1986, ' Excava Tions at Sabratha' 1948- (7)
(8)1951,London,p.312-318.
Fulford,N.G,1989,op. cit , P.182-186.

و بداية من القرن الخامس أخذت المدن الفينيقية في إقليم طرابلس في التعامل مع بلاد الإغريق حيث ظهرت في صبراته دلائل على استيراد فخار إغريقي حيث كشفت أعمال الحفر التي أجريت في موقع هذه المدينة عن مخزون جرار فينيقية و أواني فخارية إغريقية ترجع إلى الفترة من أواخر القرن السادس– القرن الخامس ق.م .وخلال القرن الخامس ق.م، اتسع نطاق التعامل مع بلاد الإغريق ذلك أن وفرة الفخار الاثيني قد تدل على وجود علاقات تجارية مع أثينا. وتشير الأدلة إلى أن استيراد المنتجات الإغريقية وخاصة الفخار الاثيني قد استمر حتى الربع الأخير من القرن الرابع ق.م، بالنسبة للمناطق الخاضعة لقرطاج في الشمال الأفريقي .

هذا ويمكن القول بأنه عثر في مناطق مختلفة من الإقليم على شواهد أثرية تدل

على عمليات استيراد واسعة قامت بها مدن الإقليم من البلدان المطلة على الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال العهد القرطاجي ، ففي المقبرة البونية التي تم اكتشافها تحت مسرح لبده الكبرى عثر على مجموعة من الأواني الفخارية من النوع الإيطالي المعروف بالكمباني يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والثالث ق.م [1] ، وفي مقبرة الحرشة (غربي الزاوية) عثر على طبق ومصباح من الفخار المطلي باللون الأسود من طراز يوناني شائع في إقليم كمبانيا بجنوب إيطاليا يرجع تاريخه إلى القرن الرابع [2].

ويمكن أن نستخلص أن الأدلة الأثرية التي عثر عليها حتى الآن في مناطق مختلفة في الإقليم تدل على وجود علاقات تجارية بين مدن الإقليم و بلدان حوض البحر المتوسط وقد يدل هذا على تمتع هذه المدن باستقلال اقتصادي نسبي تحت السيطرة القرطاجية.

وفيما يتعلق بانتشار الديانة الفينيقية في الإقليم ، فإنه على الرغم من وفرة الأدلة التي تشهد على دخول الدين في جميع شؤون الحياة ، فإن الدلائل الوثائقية الخاصة بالعقائد الدينية قليلة فإذا بدأنا بالنقائش فهي رغم أنها تذكر أسماء الآلهة فإن كلما يمكن معرفته بعض الإشارات عن الأضاحي النذرية المقدسة إليها ، وكما هو الحال في الشرق فإنه يصعب في بعض الأحيان التأكد من اسم الإله ببساطة مجرد لقب الآلهة مثل (بعل أو ملك) .

وتعتبر النقائش الإغريقية أو اللاتينية من المصادر التي تساعدنا في التعرف على الآلهة ، وعلى تصور عام عنها، فنجد بعض الأسماء التي تدل على صفات عائلية مثل حيملك (اخ ملك) و (أمة بعل) خادمة بعل ، وبنتبعل (ابنة بعل) و عريسة بعل (حبيبة بعل) ، وتدل العلاقة بين ـــــ

(1) محمود الصديق ، أبو حامد و آخرون ، أخبار أثرية "، ليبيا القديمة ، مجلد 11-12، (1974-1975)، ص44-54.

(2) طه باقر، 1968 ، " أخبار أثرية " ، ليبيا القديمة ، 5(1968)، ص58-59.

الإله و اتباعه على الخضوع مثل (عبد ملكارت) (خادم ملكارت) ، وقر ملكارت (تابع ملكارت) ، ونجد ما يدل على إيمان عميق بان ما يناله الإنسان يتوقف على رغبة الآلهة مثل إشمن حانو (اشمن قد منح) ، و ملكارت عزر (ملكارت قدم العون) ،وملكارت شمع (ملكارت سمع أو استجاب) . ويوجد مصدر آخر لمعرفة الآلهة الفينيقية البونية التي جررت عبادتها في الإقليم ، وذلك عن طريق معادلتها بالآلهة الإغريقية والرومانية ، ففي نهاية العصر الهيلينستي و في مدينة لبدة نجد الإله " شادرفا" (Shadrafa) يعرف باسم شادرافا / ليبرباتر وملك عشترت بهرقل (Hercules) [(1)] .

وفي بونجيم جرت مطابقة الإله الفينيقي[(2)] القرطاجي " بعل حمون" بالإله الروماني ساتورن(Saturn) وهذه المطابقة قد تساعد على معرفة هذا الإله الفينيقي أو ذاك ، إلا إنها في بعض الأحيان تجعل من الصعب معرفة في ما إذا كان الحديث يدور عن شخصية فينيقية أو يونانية أو عبادة رومانية ، والآثار المصورة تفيد في معادلة الآلهة أو التمييز بينها ، غير إنها قليلاً ما تصور بأشكال مشابهة لها ، ولا شك أن هذا قلل من الإمكانيات التي توفرها الرسوم .

و هكذا فإن الأدلة متوفرة لتكوين تصور عام عن الديانة لفينيقية في الإقليم ، إلا أن انه لا يتسر لنا معرفة كل شئ عن هذه الآلهة ، فنحن نستطيع أن نجمع معلومات عن أسماء الآلهة و أنواع خاصة من العبادة ، ولكن لا نستطيع الحصول على معلومات عن عمل الإلهة وأساطيرها .

و إذا نظرنا إلى مجمع آلهة الأمبوري نجد انه يحوى عناصر فينيقية قرطاجية ، نتيجة طبيعية لظروف تاريخية ناجمة عن نقل هذه الآلهة من الشرق إلى الغرب الفينيقي أدت إلى تطورات واختلافات ،كما أنها و إلى حد كبير كانت متأثرة بالبيئة الليبية التي استقر فيها الفينيقيون في الشمال الأفريقي .

وبالنظر إلى ندرة المصادر الأدبية التي تتحدث عن المعتقدات الدينية للفينيقيين فقد تم الاعتماد إلى حد كبير على النقائش ، حيث جاءت اغلب معلوماتنا عن طريق

النقائس الاهدائية المكتوبة باللغة الفينيقية الجديدة أو اللاتينية التي يرجع أقدمها إلى القرن الثاني ق.م، فبالإضافة إلى أن الأدلة الأثرية مكنتنا من التعرف على المواقع التي كانت تمارس فيها العبادات مثل أماكن

---

(1) Broquier- Redde,Temple et Cultes deTripolitaine ,Paris ,1992, p.81-6 et 88-91.

(2) Rossi , M .Garlbini ,Q.' Nouvi dacumenti epigfici , Della ,Tripolitania Romana' LA 13 -14 (1976-1977) , P.7-4.

العبادة المفتوحة التوفيت والمعابد ، أظهرت لنا النقائش أن العبادات التي كانت تمارس في مدن الإقليم تختلف من مدينة إلى أخرى ، فالآلهة التي تعبد وتبجل في لبده قد لا تكون نفس الآلهة التي تعبد وتبجل في صبراته وويات [1] .

ومن بين أركان مجمع الآلهة (Pantheon) القرطاجي المبجلين لدى الفينيقيين الليبيين من سكان الامبوري نجد الآلهة تانيت التي تحدث عنها ابوليوس واصفاً إياها بأنها " أعظم الآلهة وأم كل حي والهة الخصيب وإله قمري في وقت واحد و هي الآلهة الوحيدة التي عبدها العالم تحت أسماء و أشكال متعددة وطقوس مختلفة " [2]، فهي تعادل عند الفينيقيين الآلهة (عشترت) ، وعند الإغريق الإلهة ارتميس و الرومان الإلهة "ديانا (أو كايليستس أو فينوس) [3] . وقد أنشأت لها المعابد في الشمال الأفريقي مثل معبدها الشهير في قرطاج ، و آخر في سوسة (تونس) ، وفي ويات يوجد معبد في الغيران (غربي طرابلس 10 كم) ، ويبدو أن ذلك حدث بسبب تأثير مجمع آلهة العاصمة قرطاج ، وفي مواقع عدة من إقليم المدن الثلاث عثر على مجموعة من رموز الإلهة تانيت ، ففي لبدة الكبرى وفي المقبرة التي تم اكتشافها تحت المسرح الروماني والتي تعود القرن إلى الأول عثر على جرار فخارية (امفورات) تحمل رموز هذه الإلهة

كما عثر في غرفة بأحد القبور في جنوب فيلا النيل (قرب لبده) على جرار فخارية (شكل 5) تحمل رموز هذه الإلهة [4] .

وفي موقع (جنوب الخمس 1كم) عثر على عارضة من الحجر رسم عليها رموز هذه الآلهة ، وهو ما يبعث على الاعتقاد بوجود معبد لها في رأس المرقب [5] . وفي مسلاته عثر على مقبرة فينيقية وجد بداخلها رموز لهذه الآلهة (شكل) [6] ، كما وجد في زليتن عدة رسوم ورموز تخص هذه الإلهة [7] وهناك معبدان للإلهة تانيت في لبدة والآخر في صبراته [8] .

وفي العادة تظهر الآلهة تانيت في صورة زخرف يتكون من نصب وقرص شمس مقسوم

---

(1) Broquier-Redde,op.cit.p263.

(2) Apuleius ,Metamorphoses,XI.257

(3) Augustine de CIV.de11.3.

(4) Longerstay ,M.op. cit.p.838-39,842.

(5) I R T 268 ; Remanelli ,P.Lepcis Magna,1925,p167; طه باقر، " أخبار أثرية ، مجلة ليبيا القديمة ، 5 (1968)، ص63.

(6)المرجع نفسه والصفحة.

(7) المرجع نفسه والصفحة، هامش 18.

(8) لبدة I R T 268 ؛ صبراته I R T 2 .

بذراع بصورة أفقية وهو ربما يكون تطوراً عن عنخ (Ankh) المصري الذي هو عبارة عن صليب على شكل حرف (T) في أعلاه عروة ، وهو يرمز إلى الحياة عند قدماء

المصريين ، وهذه العلامة ترمز إلى الآلهة في تطورها إن لم يكن في بداياتها ، حيث تظهر بخلع الصفات البشرية عليها (شكل6)، ويظهر على نصبها صولجان ملتف حول حيتان وفي أعلاه جناحان ، وكذلك الهلال المقلوب إلى أسفل ومعه قرص الشمس ، ورمز اليد اليمنى المفتوحة ، و المرفوعة إلى أعلى ربما كان له علاقة بهذه الآلهة ، فمن الواضح أن المقصود منها هو جلب الخير والحماية ، وهي تمثل شكلاً من أشكال التمائم لازالت موجودة في البلاد العربية ومنها ليبيا ، حيث ترسم عند مدخل البيت ، والغرف لجلب البركة والحماية من عين الحسود [1] ، و رموز الإله عند الكنعانيين هي رمز لقوته الدينية .وفي العادة تظهر إلى جوار الآلهة تانيت صور مثل (الرمان) السمكة ، اليمامة (Dove) و نخلة ، وهو ما يؤكد صفتها كآلهة للخصوبة .

ويرى بعض الباحثين أن الرموز التي تمثل الآلهة تانيت والتي عثر عليها في منطقة الجبل الغربي ، وفي منطقة ما دون الصحراء لا تدل على عبادتها في هذه المناطق [2] .وبسبب عبادة هذه الآلهة في قرطاج وعدم وجود أي دليل على عبادتها في صور فقد دفع ذلك البعض إلى القول بان هذه الإلهة ليبية و انه حدث تغير كبير في الديانة السامية في قرطاج خلال القرن الخامس ق.م، وهي الفترة التي أفسح فيها المجال أمام الإله بعل حمون والآلهة تانيت الملقبة " المقدمة على بعل" (Pene Baal) إلا انه ورد أسمها على جانب اسم الإلهة عشترت في نقش فينيقي ، عثر عليه في ساربتا (قرية الصرفند– جنوب صور) يرقى تاريخه إلى القرن السابع ق.م .

وعليه يمكن القول بأن تانيت فينيقية و أن الهجرات الكنعانية المبكرة جلبتها معها إلى شمال أفريقيا خلال الألف الثاني ق.م [3] . ويتحدث دي فيتا عن أهمية الافريز الذي عثر عليه في غدامس (شكل7) ويرى انه عبارة عن تمثال مكرس لاحد الإلهة يجلس أمامه أحد المتعبدين ومعه خادمه في حالة تقديس وان المشهد يبدو وكأنه يمثل شيخ قبيلة بشعره المتدلي وتسريحته المعهودة

———

Harden ,D. op. cit .p.88-99 ; Moscati ,S.1968,P.139. (1)

Longerstayy ,M.op.cit.p. 842. (2)

J . B.Pritchard ,Recovering Sarepta A Phoenician City (3) ,New Jersy 1978, P.104-108 ; Idem ,The Tanit Inscraption from Sarepta dans Phoemzien in West, p.83-93.

(4)

Ibid.p.104-108;

كذا أحمد الفرجاوي ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج ، المعهد الوطني للتراث ، تونس ،1993، ص ص 93−95.

كما و أن تنفيذه القديم من قبل نحات ليبي ، ويضيف بان لهذا التمثال قيمة وثائقية تدل على مدى عمق الاختراق للثقافة البونية في إقليم طرابلس منذ عهود قديمة جداً ، ذلك الاختراق الذي تأكد في السنوات الأخيرة باكتشاف أشياء بونية في قبور الجرمنت التي تعود إلى العصر الهيلينستي[1].

تعتبر عبادة الإله الفينيقي بعل حمون من أهم العبادات و أكثرها انتشاراً في غرب العالم الفينيقي ، ولأهمية هذه العبادة في قرطاج فلا بد أنها انتشرت في الأماكن المجاورة لها ، حيث تشير الأدلة الأثرية إلى وجود معبد لهذا الإله في ارض الكاتب (جنوب غرب مدينة صبراته الأثرية)، كما عثر على معبدين(توفيت) لهذه الإله والآلهة تانيت لتقديم القرابين لهما في كل من رأس المنفاخ قرب صبراته والغيران (12 كم غربي ويات) [2] .

ومن بين الآلهة الفينيقية التي جرى تبجيلها في لبدة الإله ملك عشترت والإله شادرافا وهما الإلهان الفينيقيان الحارسان لمدينة لبدة الكبرى [3] وشادرافا عند الفينيقيين

هو غله الخصيب والعلم السفلى كما يدل اسمه على أنه إله الشفاء ، وجرت عبادة الإله ملك عشترت في لبده ، أما الإله شادرافا فقد جرت عبادته في كل من لبدة وصبراته وويات وجيغيش (بوقارا) . وقد استمرت عبادة الإلهين ملك عشترت وشادرافا حتى نهاية القرن الثاني ق.م، وبداية القرن الأول ق.م ، والإله الفينيقي الكون أرض ورد اسمه في نقيشة [4] عثر عليها في لبدة وهو يماثل إله الينابيع العذبة ، و تمت معادلته بإله البحر نبتون (Neptune) ، وقد استمرت عبادة هذا الإله حتى القرن الثاني الميلادي ، ولعدم وجود ما يدل على عبادة هذا الإله وكذلك الإله ملك عشتارت في شمال أفريقيا باستثناء لبدة وهو ما يبعث على الاعتقاد بأن هذه المدينة قد جلبت عبادة هذين الإلهين من أمها صور (Tyre) كما قد يدل على الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به لبدة في ظل السيطرة القرطاجية و أيضا يدل على الخصوصية في ديانة الإقليم في العصر القرطاجي[5] .

ويبدو إن الآلهة عشترت (Astrte) كانت من بين الآلهة التي عبدت في لبده الكبرى حيث عثر على نقائش إهدائية مكرسة إلى الآلهة الرومانية فينوس (Venus) التي جرت مطابقتها

Divita ,A. ' In Fluence Greques of Tradition Orientale dan (1) L, art Punique de Ttipolitanes' , MEFR 80 : 7-85.

(2) Rossi,M. and Garbiai .G,op.cit ,p.7-19.

(3) I P T 31.

(4) I P T 18.

(5) Moscati, S.1968,the World of the Phoenicians ,p37 ; Longerstay ,M.op.cit ,P.852 .

بهذه الآلهة [1] ، وبما أن الآلهة عشترت كان لعبادتها مراكز مقامة في مناطق مختلفة من العالم الفينيقي، وأن الدلائل تشير إلى أن لبدة قد جلبت مجمع آلهتها (Pantheon) من المدن الفينيقية والتي من أهمها صور فيحتمل أن الآلهة عشترت كانت من بين أعضاء مجمع ألهة لبدة الكبرى خاصة وأنه يوجد تطابق بين الإلهتين عشترت وفينوس [2] ، غير أن انتقال العبادات من مكان إلى الآخر قد يؤدي إلى حدوث اختلاف في الكيفية التي يتم بها تأدية الشعائر والطقوس الدينية ، ذلك انه لا يوجد دليل على أن عادة البغاء المقدس الخاصة بهذه العبادة قد جرت ممارستها في المستوطنات الفينيقية في إقليم المدن الثلاث [3] .

وفي ويات جرت عبادة الإله الفينيقي رشف (Reshef) إله الصاعقة والنار والضوء السماوي والذي جرت مطابقته بالإله الإغريقي أبولون (Apollo)[4]. أن الأدلة المتوفرة لدينا عن الآلهة الفينيقية التي كانت تعبد في المدن الثلاث (لبدة الكبرى ، ويات، و صبراته) تعود إلى الفترة الممتدة من القرن الثالث ق.م ، وحتى نهاية القرن الثاني ق.م، وهي الفترة الممتدة من العصر الهيلينستي وحتى الفترة الرومانية .

و بالرغم من ورود أسماء في النقائش التي عثر عليها في الإقليم (I PT 886F) يدخل في تركيبها اسم الإله الفينيقي أشمن مثل " عبد أشمن" ، إلا انه لا يتوفر دليل على عبادة هذه الإله في الإقليم ، كما أننا لم نجد ما يدل على عبادة الإله الفينيقي هاغاد (إله الحظ) ولا الإله المصري بس مانع الصواعق رغم ظهور رمز الأخير على الضريح البوني في صبراته.

و بالنسبة إلى للمعابد الخاصة بالآلهة الفينيقية في إقليم المدن الثلاث فهي مماثلة لما كانت عليه المعابد الفينيقية في صور مثل معبد عمريت ومعبد عين الحياة ، وكمثال على المعابد الفينيقية التي أقامها الفينيقيون في الإقليم معبد الإله ملك عشترت و الإله شادرافا الإلهين الحارسين لمدينة لبده الكبرى ، والمقام في الميدان القديم في هذه المدينة (شكل8) . وبالرغم من إعادة بنائه في عهد الإمبراطور سبتموس سفيروس

(الليبي الأصل) بسبب إقامة معبد روما و أغسطس في مكانه الأول في الميدان القديم في هذه المدينة كما أسلفنا القول ، إلا أن الأسس العامة في بناء المعابد ظاهرة فيه حيث هو مشيد على دكة من الحجر الجيري رمادي اللون مجلوب من رأس

---

(1) Longerstay ,M.op. cit ,p. 852-857 .

(2) Herodian V, 6-4.

(3) Harden ,D. The Phoenicians ,London ,Thames and Hadson Moscati , M .1968 , (4),p.103-132. op. cit .p.37.

الحمام وهو موجه نحو الجنوب الغربي باتجاه الميدان ، ويبلغ ارتفاع الدكة حوالي اثنين متر ، ويوجد سلم أمامي يؤدي إلى داخل المعبد وهو محاط بأعمدة من طراز أيوني مقامه على الواجهة الأمامية للدكة ، أما قدس الأقداس (الحجرة المخصصة لوضع تمثال الإله) فإنها تمتد لتغطي عرض الدكة بينما يقل عمقه عن طول الدكة ، ويوجد باب يؤدي إلى المقدس المستطيل الشكل ، أما داخل المعبد فهو متهدم [1] .

هذا ويمكن أن نستتنج و بصورة عامة أن جميع المعابد الفينيقية تتكون من مبنى صغير(مقدس) محاط بسياج محصن ، وفي التوراة ورد ذكر لنوع آخر من المعابد يسمى "التوفيت" (Tophet) قرب بيت المقدس ، وهو المكان الذي كانت تقدم فيه الأضاحي البشرية من الأطفال "ملك أدم" (Molk Adm) أي " الأضحية البشرية " كقربان للآلهة [2] ، وقد اشتق هذا الاسم من اسم مكان في وادي حينوم (Hinnom) قرب بين المقدس في فلسطين ، حيث كان الأطفال يقدمون على شرف الإله بعل [3] .

وقد وجد هذا النوع من المعابد(التوفيت) في إقليم المدن الثلاث ، حيث عثر على اثنين منها أحدهما في رأس المناخ قرب صبراته ، والأخر في الغيران (10كم غرب

ويات) ، وهي خاصة بتقديم القرابين إلى الإله بعل حمون والإلهة تانيت (المقدسة على بعل) . ومن الناحية الاركيولوجية يمكن وصف هذا النوع من التوفيت بأنه عبارة عن مساحة مسيجة مفتوحة وغير مسقوفة توضع بداخله الأواني التي تحفظ فيها جثث الأطفال الذين قدموا كأضاحي بشرية للإلهة ، وقد وجد بداخل معبد توفيت رأس المنفاخ على ثلاثين نصب من الحجر الجيري (1.35 X 0 .60 X 0 .50) لحمل رسوماً للإلهة تانيت مع رموز لها تمثل صولجان عليه حيتين ، وفي أعلاه جناحان ، وهذه الأنصاب لا تختلف عن تلك التي عثر عليها في توفيت (سلامبو) على شاطئ قرطاج ، وعثر أيضا على أواني حفظ بقايا عظام حيوانات صغيرة محروقة يرجع تاريخها إلى الفترة الهيلنيستية أو الإمبراطورية ، أما بقية الموجودات بداخل هذا التوفيت فهي سيراميك أسود لامع مصابيح من الطراز الروماني الهيلنستي مختومة بختم إيطالي ، وعملة ترجع إلى عهد الإمبراطور الروماني دوميشيان ، وتشهد الأدلة الأثرية على استعمال هذا المعبد خلال الفترة ـــــ

(1) لمزيد حول هذا الإله ومعبده في لبده الكبرى راجع :

Romanelli,P. EAA 1961,IV,S.V. Leptis Magna ,P 578; Bianchi Bondnelli,Leptis,1965, p. 86.

(2) لمزيد من المعلومات عن التوفيت راجع :

Moscati .S, The World of the Phoenicians,p.140 ,142, 149,152,244.

(3) 2kings , 23, 10.

من أوائل القرن الثالث ق .م – القرن الأول الميلادي ، ويعد هذا أول توفيت ذي أبعاد معروفة تم العثور عليه حتى الآن في طرابلس .

أما التوفيت الثاني فقد عثر عليه في الغيران (10كم غربي ويات)وهو يعود إلى القرن الثالث ق.م ، وهو خاص بعبادة الآلهة تانيت و الإله بعل حمون ، عثر فيه على أواني فخارية لامعة لحفظ بقايا الأضاحي المحروقة وهي مدفونة تحت نصب صغيرة

ذات واجهات مثلثة تحمل رسوماً في الجزء الأعلى ، و على اليمين رمز تانيت ، وفي اليسار رسم لصولجان وفي الوسط منجل مقلوب (شكل9) ، كما عثر فيه على أنصاب معينة تحمل قرص شمس صغير [1] . ويرى البعض في ظهور الرمز الذي يشبه المبخرة إلى جوار علامات الإلهة تانيت بدلا من الصولجان على بعض النصب التي وجدت في هذا التوفيت و على الجرار التي وجدت في فيلا النيل في لبدة وفي زاوية المحجوب دليلاً على اندماج الآلهة تانيت مع الإله بعل حمون [2] .

وعلى أي حال فإن ما ذكر من أسماء الآلهة التي كان يعبدها الليبيون الفينيقيون في إقليم المدن الثلاث هي من واقع الأدلة التي في حوزتنا ، وربما ستكشف أعمال التنقيب في المستقبل عن معبودات فينيقية أخرى جرت عبادتها في مدن الإقليم وكانت الآلهة الفينيقية على أشكال البشر وهذا ما تظهره أعمال النحت الفينيقي ، و الاعتقاد السائد عندهم هو أن ما يصيب الإنسان من خير أو شر هو من عند الآلهة ويرجع إلى أرادتها، وعليه فقد عملوا كل ما في وسعهم لنيل رضاها وتخفيف غضبها من اجل الحصول على مساعدتها وحمايتها لهم ، فكنوا يقدمون الأضاحي البشرية في أوقات الخطر الشديد والكوارث مثل انتشار الأوبئة أو الحروب حيث كان حكام المدن يضحون بأطفالهم .

ويرى بيكارد أن الأضحية كانت ظاهرة بارزة في الديانة القرطاجية ، ذلك أن النصب التذكارية تشير إلى هذه الظاهرة ، وكانت الأضاحي البشرية غالبة على أشكال الأضاحي والمظاهر الأخرى [3] ، و في العادة يتم حرق من يقدم كأضحية بشرية حياً ، وهي التي تسمى (ملك آدم) وهي تعني أضحية بشرية ، وفي فترة متأخرة توسع مفهوم الأضحية وأصبح الاسم يصنف وفقاً لنوع الأضحية وطبيعتها ، حيث اصبح يطلق على الأضحية الحيوانية "ملخومر" (Molchomer) ، وهي تعني " الخروف الأضحية" ، وهي تدل على استبدال الأضحية البشرية

Taborelli ,L. 1992, op. cit, P37 ; Brecciaroli ,Taborelli ,' (1) Iltofet Neopunico Sabratha ', a c g ,1. p. 543- 546.

Taborelli ,L. Le Stele Neopuniche da iloasi di (2)
Gheran ,KathagX X I I I (1995),P.31-41.
Picard (3)
.G.CH,les Religion De L,Afrique ,Paris,1954.

بأضحية حيوانية [1]. وفي توفيت صبراته جرت عملية الاستبدال هذه، حيث عثر على عظام حيوانات صغيرة مثل الماعز والضأن و الغزال ، كما وجد الكثير من كسر العظام المتكلسة لهذه الحيوانات في العديد من الأواني الخاصة برماد الأضاحي[2] ، وورد في النقائش أسماء بعض الحيوانات التي كانت تقدم كقرابين للآلهة مثل الثيران ، الخراف الكباش والطيور ،أما الخنزير فلا يصلح كأضحية لأنه غير نظيف [3] ، ويعتبر ذكر الأيل(Ram) أضحية مفضلة في مناسبات معينة [4] .

وهناك أنواع أخرى من الأضاحي الحيوانية كانت تقدم إلى الآلهة ، وهي كثيرة الشبه بتلك التي وردت في التوراة ، منها الأضحية المحروقة ، حيث يجري حرق الحيوان بأكمله ، والأضحية المشتركة وهي التي يذهب جزء منها إلى المانح والجزء الآخر إلى المضحي ، ونوع أخر تمنح فيه الأضحية بأكملها إلى الكاهن ، وأيضا رجال الدين كان لهم نصيب في الأضحية مقابل قيامهم بمراسم تقديمها .

ويذكر دوسود أن الأضحية البشرية أدخلت إلى الغرب الفينيقي عن طريق اليسا مؤسسة قرطاج والتي ضحت بنفسها بهدف إنقاذ قرطاج ولتبقى مخلصة لذكرى زوجها ، وهي بذلك أصبحت مؤلهة حسب أسطورة تأسيس هذه المدينة ، وكانت الأضاحي من الأطفال تقدم على شرفها في توفيت سلامبو (في تونس) ويشير دوسود إلى الفكرة القائلة بان التضحية بالدم تجدد الشباب ، تقوى الإله المقدم إليه الأضحية وتقرب مقدمها منه ، كما أن فكرة تقديم الثمرة الأولى إلى الإله سواء كانت إنسانية أو حيوانية نابعة من الشرق (الأدنى) وقد أكدها كتاب التوراة ، وفي الغالب كانت تضحية الأبوين بالابن الأول ، هي العادة المتبعة ، ذلك أن الأبناء هم أغلى ما يملكه الإنسان كما تتمثل فيهم

الطهارة والبراءة والتضحية بهم تعمل على تخفيف غضب الآلهة وكسب رضائها ، كما أن الإله هو مانح القدرة على الإنجاب وهو ما يحتم التنازل عن حياة أبنائهم في سبيل مرضاته .

وتنهض الشواهد الأثرية دليلاً على أن محاربة هذه العادة من قبل كبار مسئولي الدولة ، على أنها كانت محل اهتمام الدولة والمجتمع بأكمله ، فالصيغة الإهدائية التي عثر عليها في توفيت ـــــ

(1) **Moscati.S,op. cit p142.**

(2) **Taborelli .L.1992, op. cit.p73-75.**

(3) **Lucian ,DE Dea Syra,54.**

(4) **Clerment Gannau1830,**
Clerment,G.J Aserie,VII.VOL.XI(1880), P.232.

قرطاج "بأمر الشعب القرطاجي " تدل على عمومية التوفيت وطبيعته الدينية ، وعلى التدخل الواضح من قبل السلطان العامة التي تحرص على وجوده وعدم إحداث تغيرات في اركيوليجيته حفاظاً على شكله التقليدي [1] .

أن تأدية الشعائر والطقوس الدينية تتطلب وجود عدد من الكهنة من واجباتهم تقديم الأضاحي والعمل كوسطاء لنقل وحي الآلهة والتنبؤ بالمستقبل وتقديم النصيحة إلى من ياتون إلى المعابد لاستشارة الآلهة لاعتقادهم بأنها هي التي تسير العالم ، وان بيدها مصائر البشرية ، ويذكر لوشيان أنه في إحدى المناسبات بلغ عدد الكهنة ثلاثمائة كاهناً ، حيث كان البعض منهم يسكب الماء المقدس والبعض الآخر يذبح الأضاحي ، و المجموعة الثالثة تحمل مواقد فحم خاصة تحرق البخور [2] ، ويصف سيليوس ايتاليكوس المظهر الخارجي لكهنة الإله ملقارت في قادس (اسبانيا)، بأنهم كانوا حليقي (الرؤوس) ويرتدون ثياباً بيضاء من الكتان ، ويمشون حفاة الأقدام ، ويرتدون أثناء

تقديم الذبائح ثياباً احتفالية يزينونها بشريط عريض ويقطعون عهداً بعد الزواج [3].ولا يستبعد وجود مثل هؤلاء الكهنة في معابد الإلهة الفينيقية في هذه المدن خاصة المعابد الرئيسة مثل معبد الإله ملك عشترت في لبدة ومعبد الإله بعل حمون في صبراته و ويات (في الغيران) ، وفي لبدة عثر على رأسين لتمثالين من الحجر لكاهنين يرتدي كل منهما قبعة تشبه التاج(شكل 10) حالياً في متحف طرابلس ،وربما دل هذا على وجود كهنة في المعابد الفينيقية في المدن الثلاث .

ويبدو أن السحر كان له دور في اعتقادهم في الحياة الأخرى ، وقد يدل على ذلك استخدامهم للتمائم (Amulettes) التي عثر عليها بين الحاجيات الجنائزية الموضوعة في المقابر الفينيقية بالإقليم، فوضع التمائم والتماثيل الصغيرة مع الميت في قبره هو لحمايته من الأرواح الشريرة .

وتقام المقابر الفينيقية في العادة في الطبقة الصخرية و على مقربة من المدن الثلاث وتحت سطح الأرض ، وقد عثر على العديد من هذه المقابر في المدن الساحلية وضواحيها في كل من لبده الكبرى ، ويات وصبراته ومن دراسة بقايا الجثث وطريقة الدفن والمواد والحاجيات الأخرى الموجودة داخل المدافن الفينيقية التي تم اكتشافها في الإقليم تبين أن سكان المدن كانوا يدفنون موتاهم في المقابر التي يرجع تاريخها إلى فترة أقدم ، و أن طقس حرق جثث الموتى عثر ـــــ

(1) Aubet , M.The Phoenician In the West , p.209-212.

(2) Luciau ,De Dea Syra, 42.

(3) Silius Italicus ,I I I ,21,22,23-28.

على آثارها في المقابر التي يرجع إلى فترة متأخرة منذ القرن الأول ق.م [1] .ويدل حرق الجثث على تأثر الفينيقيين الليبيين بالثقافة الرومانية ، وان حمل التوابيت لاسماء

مختلفة بونية ولاتينية وإغريقية قد يدل على الطابع الجنسي المختلط وأن المقبرة لم تكن لعائلة واحدة.

هذا وتؤكد الأدلة على انتشار الثقافة البونية في الإقليم ، ففي القرن الأول نجد سالوست يتحدث عن لغة سكان لبده بأنها بونية ،وفي القرن الثاني الميلادي نجد أبوليوس يشير إلى ثقافة ابنه بالتبني (سكينيوس بودينس من ويات) المحدودة ، ويعييره بأنه غير قادر على التحدث باللاتينية باستثناء كلمات إغريقية قليلة ، و أنه لا يفهم سوى اللغة البونية ، على الرغم من أنه ابن لعائلة ثرية ، وهو ما يدل على تخلفه . ومثلما هو الحال بالنسبة لعمه أميليانوس سيكنيوس الذي وصفه أبوليوس بأنه ريفي ساذج تعوزه الثقافة (Doctorina)، ولا يتحدث الإغريقية على الإطلاق [2] ، وهو ما يعني أنه كان مثل ابن أخيه لا يجيد سوى اللغة البونية ، وقد يظن أن ما قاله أبوليوس هو لمجرد القدح في أعدائه و الحط من قدرهم ،إلا أن هناك حقيقة واقعة وهي أنه يوجد تحت قشرة الحضارة الرومانية الممثلة في المعمار والقانون جماعات من السكان تعيش في ويات وصبراته متعددة اللغات والثقافة. و كانت اللغات المحلية مثل الليبية و البونية واسعة الانتشار مثل اللاتينية [3] ، والنقوش التي عثر عليها في الإقليم تكشف بجلاء عن تعدد اللغات ، ففي نقوش لبده الكبرى ورد أسماء بونية مثل أديبعل بن بعل شليك حفيد أبوبعل ، وفي ويات وردت أسماء ليبية مثل سندين(Stiddin) ، ووردت في النقوش أسماء مرومنه مثل أبوليوس ماكسيموس من بن جوزال حفيد جورات و زوجته ثانوبرا ، غير أن أبناؤه كانوا يسمون يودنس وسيفيروس (Seveys) و ماسيكوس ، وتوجد أسماء مختلفة الثقافة مثل البيوس كينثيو (Ulpius Chinitiu) وهو رجل ثري ينحدر من أصول محلية ، وقد كافح في سبيل تكوين ثروته وإثبات هويته في المجتمع واستطاع أن يقيم لنفسه قبراً فخماً (Mausoleum) .و من الواضح أن مجمع

---

(1) لمزيد من المعومات عن الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث راجع :

- محمود الصديق أبوحامد ،" أخبار الحفريات الأثري" ،مجلة ليبيا القديمة ، مجلد11-12 ،(1974، 1975)، ص44-54.
- دليل مدينة طرابلس منذ الاستيطان الفينيقي حتى العهد البيزنطي ، طرابلس :1978،ص 63 وما بعدها .
- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، ص 236-247.
(2)
Bradly ,k . ' Law Magic and Culture (3) Apuleius,Apology,98.8 in the Apologyof ApuleiusPhoenix = LA NO .2 , Summerete 1997,Classical Association of Canda ,p. 214-215.

طرابلس الروماني كان يغمره فيض ثقافي وان اللغتين اللاتينية والإغريقية كانتا اللغتان اللتان يفهمها القلة من الوافدين [1] .

وعليه في ضوء المعلومات المتوفرة تشير إلى استمرارية اللغة والثقافة العميقة في العصر الروماني ، وان آثار هذه الثقافة واضحة في لغة الإقليم ، وهو ما يؤكد النقوش البونية التي عثر عليها في مواقع مختلفة من الإقليم ، ويرجع البعض منها إلى الفترة الرومانية مثل النقش [2] ، المكرس للإله الليبي إلى آمون في المحيجيبة (في القرية الخضراء - ترهونة) (شكل 11) والذي يرقى إلى أوائل عصر الإمبراطورية الرومانية (17/16م) و في سرت [3] يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي أم الجرم[4] ، قصر العزيز (وادي الروم) [5] ، و في القصيبات عثر على نقش [6] يتعلق بعملية تأجير أو بيع مزرعة يملكها حانون بن موتنو التي كانت تمتد من وادي النخيل ، وذلك عن طريق المزاد العلني ، ففي الثلاثين من شهر أكتوبر وهو تاريخ إبرام العقد دفع خمسة أكياس من التمر ، وذلك كضمان بعد توقيع الاتفاقية ، وعلى أن تؤول الحقوق بعد هذا على ابن بالتبني ، وفي تلك الأثناء اطلق طيوراً صنعية داخل حدود المزرعة ،

والأسماء الواردة في هذا النقش[7]: دوناتو وحانو بن ارشم هي أسماء بونية ، وقد تكررت في نقوش بونية أخرى من لبدة الكبرى[8] ، وبالإضافة إلى ورود الأسماء البونية في النقوش فإن استعمال اللغة البونية في تحرير الوثائق الخاصة ، بالاتفاقيات والتعاقدات يدل على انتشار اللغة والثقافة البونية في منطقة مسلاتة كغيرها من مناطق الإقليم الأخرى .

و في منطقة الجبل الغربي وردت أسماء بونية مثل بعل شليك سوبات (Subath) وميثمبعل وحانو وفي حوض سوف الجين عثر على نقائش وردت فيها أسماء بونية مثل ارشم ،

---

(1) Stiddin : I RT 236 ; Iddibal : I RT 30 ; Apuleius ,Maximas : C I L VI I I 22758 ; Ulpius Chinitiu ; IR T 859.

(2) I R T 76.

(3) I R T 855.

(4) I R T 906.

(5) I RT 893.

(6) I R T 86.

(7) Idem.

(8) حول ترجمة هذا النقش راجع:

Elmayer,A.F,1997,Tripolitnia and the Roman empire ,op.cit.p.315.

بودعشترت ، أديبعل حنبعل[1] . ومن دراسة النقوش البونية التي عثر عليها في الإقليم تبين كثرة الأسماء الليبية وقلة الأسماء البونية وذلك بالرغم من انتشاره الحضارة البونية في هذه المنقطة ، وقد يعود السبب في ذلك على أن عدد من يحملها من أفراد الأسماء الليبية خاصة الثرية منها ، كانوا قلة ، وكذلك عدم إرسال المدن الفينيقية الليبية لمعمرين من عنصر الليبيو الفينيقي إلى المناطق الجنوبية من إقليم المدن الثلاث ،حيث لا يتوفر دليل على استقرارهم هناك فهم كانوا معنيين باختيار مواقع على الساحل تصلح لرسو السفن ، وتمكنهم من الاتصال بالأسواق الخارجية لتصريف بضائعهم وجلب المواد الخام . أن حمل البعض لأسماء بونية لا يدل بالضرورة على أنهم من عنصر الليبيو– فينيقي كما يعتقد جود تشايلد [2] ، و إنما قد ينحدرون من أصل ليبي ، ومن القبائل الليبية التي تنتشر مضاربها في منطقة الحدود الطرابلسية الرومانية التي وردت أسماؤها في المصادر التاريخية والنقوش التي عثر عليها في الإقليم .

وتشير الأدلة الأثرية المتمثلة في بقايا المزارع المفتوحة (Opus Africanum) التي كانت قد أقيمت على النمط الفينيقي في منطقة الجبل الغربي والمناطق الداخلية من الإقليم مثل أحواض أودية سوف الجين ، زمزم ، المردوم ، أنطار ، أم الجرم ، العمود، و كذلك المقابر والفخار المكتشف في هذه الأماكن والتي تشير إلى أن عملية الاستقرار كانت قد بدأت خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين [3] ، والنقوش التي عثر عليها في وادي العمود تعود إلى هذه الفترة في وقت مبكر في المناطق الجنوبية من الإقليم خاصة أحواض الأودية التي تقع فيها ، ونقوش وادي العمود التي تعود إلى هذه الفترة ورد فيها أسماء بونية لحملها ليبيوني ، والنقش الذي عثر عليه في المقبرة الرئيسة في هذا الوادي مطول ومحفور على الضريح الكبير وهو على النحو التالي [4] .

وهذه النقوش تدل على أن سكان المناطق الجنوبية من الإقليم من الليبيين الذين تأثروا بالحضارة الفينيقية ، حيث استخدموا اللغة الفينيقية في الكتابة وحملوا أسماء بونية [5]، فمن بين

---

(1) I P T 17.12.

(2)جود تشايلد ، دراسة ليبية ، 1991، المرجع السابق ، ص 126.

(3) Brogan .O, First andSecond Century Settlment in the Triplitanian Predesrt,in L IH 1968,P. 21-30.

(4) Livy dellaVida.le Iscrazioni neo - Pumiche Di Wadi El- Amud, LAI (1964) ,P. 57-63.

(5) Divta ,A . ' In Fluence Greques of Tradition Orientale dan L, art Punique de Ttipolitanes ' , MEFR 80 : 7-85.

الأسماء الستة عشر الواردة في هذه النقوش يوجد ثلاثة أسماء بونية فقط هم حانو ، بودعشترت وأرشم ، ونسبه عدد الأسماء البونية إلى عدد الأسماء الليبية ضئيل وهو يدل على أن سكان هذه المناطق هم من أصول ليبية .واسم ارشم الذي ورد في نقوش وادي العمود هو اسم بوني تكرر في نقش من لبده الكبرى [1] ، وهو المحز (Mhz) حانو بن ارشم الذي كان على ما يبدو يشغل منصب مسئول الرياضة العامة في حكومة هذه المدينة ، والذي يدل أسمه على انه ينحدر من أصل فينيقي ، بينما ارشم الذي ورد اسمه في نقوش مقبرة وادي العمود ينحدر من أصول ليبية فوالده مصوكن وجده يمرر بن جطيط (قطيط) الذي ينتسب إلى عائلة المصلى و أمه زوط التي تنسب إلى عائلة

(أو :عشيرة) التغلبي ، وهذه الأسماء عربية ليبية ولا زالت مستعملة حتى الآن ، وربما يدل هذا على الأصول العربية لسكان ليبيا.

ولاشك أن الثقافة الفينيقية – القرطاجية كان لها تأثيرها في المنطقة من إقليم المدن الثلاث (لبده الكبرى– ويات– صبراته) (Emporia) ثم انتشرت في المناطق الداخلية عن طريق الأهالي . أن آثار هذه الثقافة واضحة في لغة الإقليم ، وهذا ما تؤكده النقوش الفينيقية التي عثر عليها في أماكن مختلفة مثل نقش معبد الإله الليبي آمون في المحجيبة (القرية الخضراء) ترهونة ونقش مقبرة وادي العمود ونقش المسرح بلبده الكبرى (8 ق.م) [2] .

و بعد الاحتلال الروماني للإقليم استعملت اللغة الفينيقية (البونية) في آن واحد مع اللغة اللاتينية ، و أخذت هاتان اللغتان شكلا رسميا ، حيث ظهرتا على ابنيه بعض المنشآت الاجتماعية في لبده الكبرى مثل معبد روما و أغسطس والمسرح و السوق الكبر [3] .

ويجدر بالملاحظة أن استعمال هاتين اللغتين بشكل رسمي في إقليم المدن الثلاث دون غيره من أقاليم شمال أفريقيا في العهد الروماني هو أمر يدعو إلى التساؤل ، ويرى البعض أن السبب في ذلك يعود إلى الانتشار الواسع للغة الفينيقية في عمق الإقليم وإلى عظمة مدينة لبده الكبرى التي ترجع إلى مركزها البحري والتجاري [4] .

ويرى البعض أن اللغة الفينيقية قد استعملت بصورة رسمية في عهد الأباطرة الرومان ـــــــ

(1)عبد الحفيظ فضيل الميار ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية، المرجع السابق ، ص 102–109.

(2) لمزيد عن المعلومات حول انتشار اللغة و الحضارة الفينيقية في جنوب إقليم المدن الثلاث ، راجع مقالتنا المنشورة في مجلة آفاق تاريخية :" استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس خلال العصر الروماني، مجلة آفاق تاريخية ، العدد الأول ، 1998، ص 101–123.

I P T 24; Romanilli, p.' La Tripolitania Nel QuaderDeIl (3) Archologiain LIT, 1968, P .278.

Romanelli , p.1968, (4) La Tripolitania' ,In LIH , p. 133-142.

الثلاثة ، اغسطس ، تبريوس ، ودومشيانوس ، وان النقوش المكتوبة باللغتين اللاتينية والفينيقية والمكتشفة في لبده الكبر تظهر لآخر مرة في عهد الإمبراطور الأخير ، ولم تحل اللاتينية محل الفينيقية في كتابة النصوص إلا في القرن الثاني الميلادي [1] .

وتشير الأدلة الأثرية إلى أنه خلال العصر الروماني ومنذ القرن الثاني الميلادي بدء في كتابة اللغة البونية بحروف لاتينية ، حيث عثر على ختم على شكل بلاطه يحمل نقشاً بونياً لاتينياً وجد في حمامات هادريان بلبده الكبرى ، وقد ترجم ليفي ديلافيدا هذا النقش على النحو التالي :

Felloth Ia Dem Sy Rogate Yamani

"صغنعت في معمل سيروقات يماني " [2] ، وهذا النوع من النقوش عثر عليه في أماكن مختلفة من إقليم المدن الثلاث ن والنقوش البونية اللاتينية هي عبارة عن مجموعة من النصوص المهجنة وهي خليط من الكلمات البونية اللاتينية ، حيث يتضمن البعض منها عبارات مثل (Avo-sano) [3] البونية بدلاً من(Vixit Annis) والتي تعني " عاش... سنة " .

وبالرغم من أن لغة هذه النصوص بونية وبالإمكان ترجمة البعض منها ، إلا أنها لا تعطي معلومات كافية ، حيث اقتصر اغلبها على اسم الميت الراقد تحت الحجر وعمره واسم من بنى له قبر.

ويمكن إستخلاص بعض النتائج البسيطة عن التاريخ الثقافي أو السياسي للفينيقيين الليبيين وان حقيقة اكتشاف هذه النقوش الفينيقية دعى البعض إلى القول بأن سكان المناطق الداخلية من إقليم طرابلس جاءوا من أصول فينيقية مختلطة ، ولكن ثقافتهم ولغتهم كانت فينيقية ، وهم كانوا قد استقروا في تلك المناطق منذ القرن الأول الميلادي ، وقبل إقامة القلاع الرومانية في الجنوب لتغطي منطقة الحدود قبل العهد

السيفيري [4] .ومهما يكن فإن الأدلة تشير إلى أن سكان المناطق الجنوبية من الإقليم هم من الليبيين الذين تأثروا بالحضارة الفينيقية واستخدموا اللغة البونية في الكتابة وهو ما يؤكده أسماؤهم الليبية وتمسكهم بديانتهم المحلية [5] .

ولاشك انه بوصول الرومان الذين مدوا نفوذهم داخل الإقليم المدن الثلاث جعل الليبيين

---

(1) **Millar ,F.Locol Culttre in the Roman empir;JRS 58 (1968),p.126-134.**

(2) **Levi Della ,Vida ,1963 ,Sulle IScrizione, Latino Libicha ,Della Tripolitania ,Oriens Antiquus ii: 65-94.**

(3) **عبد الحفيظ فضيل الميار ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية ، المرجع السابق ،ص 239−240.**

(4) **Divita ,A. Limes Romano di Triplitania ,LA 1:P65.**

(5) **عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص 394.**

في المناطق الجنوبية في اتصال مباشر مع الحضارة الرومانية ، فضلاً عن أن السياسة الرومانية عملت على نشر اللغة اللاتينية والتي أصبحت اللغة الرسمية في المراسلات الإدارية و المحاكم والمجالس حتى يستطيعوا استخدامها في المعاملات الرسمية ، والمشاركة في الحياة العامة واستعمال اللغة الفينيقية واللغة الليبية كلغة حديث ، أما الأهالي من سكان المناطق الجنوبية فقد ظلوا يجهلون اللغة اللاتينية لمدة طويلة [1] .

هذا ويمكن القول بان عدم انتشار اللغة اللاتينية في المناطق الداخلية قد يرجع إلى عدم وجود مستعمرات عسكرية ، فضلاً عن قلة عدد المستوطنين الرومان في إقليم طرابلس أدى إلى الاستمرار في استخدام اللغتين الليبية والفينيقية و الاكتفاء بكتابة الأخيرة بالحروف اللاتينية . وقد عثر في منطقة الحدود على العديد من النقوش لبونية المكتوبة بالحروف اللاتينية و التي أطلق عليها تسمية النقوش البونية اللاتينية وهذه النقوش لها أهمية خاصة حيث ألقت مزيداً من الضوء على تاريخ هذه المنطقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ،والنظم العسكرية والإدارية ، فقد بينت هذه النقوش أن سكان منطقة الحدود هم من الليبيين وأن من يقيم منهم في بيوت المزارع المحصنة المقامة في المنطقة جنوب حافة الجبل الغربي و حتى خط القلاع الرئيسة الثلاث (بونجيم – القريات الغربية – غدامس) أطلق عليهم الرومان تسمية " الجنتيليز" (Gentiles) و التي تعني باللغة اللاتينية " رجال القبائل" ، أما من يقيم منهم خارج هذه المنطقة أطلقوا عليهم

" البربر" (Barbari) و التي تعني " الأجانب" و هم من الليبيون غير الخاضعين لسلطة الحكومة الرومانية [2] ، و أظهرت النقوش البونية في هذه المنطقة طبيعة العلاقة بين السلطات الرومانية والقبائل التي تنتشر مضاربها داخل منطقة الحدود حيث كانت تمنح مشائخها رتبة تربيوس (Tribunus) وهي رتبة عسكرية عالية ، وكذلك اسناد مهمة الإشراف على شئون الإدارة والعدالة [3] ، وهذا ما أكدته نقوش أضرحة مشائخ هذه القبائل في مقبرة بئر دريد [4] (شكل12).

---

(1) شارل أندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية ، تر/ محمد مزالي و رفيقة ، الدار التونسية للنشر ، 1969 ، تونس ، ص 248؛

Elmayer .A.F,Tripolitania and The Roman Empire ,1997, p.365.

(2) IR T 889 ; Elmayer,A,F.'The Centenaria of Roman Tripotiania Lib Stud 15 (1984),P77-84.

Eimayer ,A,F.Tripolitania and The Roman Empire (3) (4),1997,p366-366 .

I R T 886;

عبد الحفيظ فضيل الميار ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية ، المرجع السابق، ص 353−55.

إن الأدلة الأدبية تقدم لنا صورة عن انتشار هذه اللغة في شمال أفريقية الرومانية ، بينما الدليل الوثائقي كالعملة مثلا فهو محدود جداً ، ذلك أن العملة التي عثر عليها في مدن الإقليم والتي سكتها كل من المدن الثلاث وهي مدن حرة (Ciuitas Librae) استمر ظهورها من بداية عهد الإمبراطور أغسطس حتى منتصف القرن الأول الميلادي [*]. و الأدلة الأثرية بدورها تؤكد على مواصلة سكان المدن لنشاطهم الحضاري و يدل ذلك على وجود العديد من الآثار ذات الطابع الفينيقي يرجع تاريخها إلى العهد الروماني [2] .

وتؤكد الأدلة الأثرية على أن استعمال اللغة الفينيقية لم يكن قاصراً على الحياة الخاصة ، وإنما في مظاهر عامة معينة ، وهو ما يدل على حيوية وقوة هذه الأمة واستمرار الثقافة الفينيقية في إقليم المدن الثلاث حتى بعد الاحتلال الروماني، وكذلك الاحترام الذي أظهره الحكام الجدد تجاه العادات المحلية والمؤسسات الفينيقية التي استبد لوها بعاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم الرومانية [3] .

ولم يتم الاستبدال بإجراءات عنيفة ، و إنما بالتدريج وعن طريق التسرب والاستيعاب ، وهذا التعايش بين اللغتين اللاتينية والفينيقية واستمرارية استخدام الأخيرة ليس كلغة حديث ، وإنما في الكتابة أيضا لم يحدث في إقليم طرابلس ، وهذا أن دل على شئ فإنما يدل على أنه بداية عهد الإمبراطورية الرومانية كان عدد السكان الفينيقيين كبيراً وكان لهم ثقافتهم الخاصة وإيمانهم باستقلالهم الوطني الذاتي ، ومثل هذا الإيمان والاعتقاد وجد الاعتراف من قبل الحكومة الرومانية المركزية [4].

وعليه فإن حضارتين فينيقية ورومانية عاشت جنباً إلى جنب في سلام طيلة عدة قرون ، و إلى جانب اللغة بقيت بعض العناصر الأساسية للحضارة الفينيقية في العصر الروماني مثل الدين ومؤسسات معينة وعادات ، حيث تسجل النقائش البونية بعض المؤسسات السياسية مثل

***يرى جنكيز أنه لا ينبغي أن لا يعود كثير على ما تقدمه العملة من أدلة خاصة و أن صدورها كان لفترة قصيرة ثم اختفت في أوائل الإمبراطورية ، عملية الاختفاء ليست ظاهرة ، تخص هذه المدن وحدها ، و إنما هي عامة ، وربما جاءت نتيجة لسياسة المراقبة المالية التي تتبعها الدولة في غرب الإمبراطورية وذلك من أجل إيجاد عملة موحد تصلح للتداول في جميع أنحاء الإمبراطورية:**

Jenkins,G. 'Some Ancient Coins of Libya ', Lib.Stud.1973,p. 35.

(1) Bartocini 1927 ,

(2) Levi Della Vida ,Riv in Africa Italiana1:232 ; Cf I R T 852. .Tripol .3(1927) p. 912.

(3) Idem.

الشفطم (القاضيان) والمحزم ، الذين استمر ظهورهم في النقوش حتى القرن الثاني الميلادي ، يبدو أن هذه المؤسسات أخذت في الاختفاء تدريجياً لتحل محلها المؤسسات الرومانية عندما أصبحت لبده الكبرى بدرجة مستعمرة عام 109م في عهد الإمبراطور تراجان [1] ، و كان الشفطم ومساعدوهم المحزم من أغنياء الطبقة الأرستقراطية في المدن وكانوا حكاما أو قضاة ينتخبون سنوياً .ومن الوظائف الأخرى التي ظهرت في نقش من لبده الشحم (Shhm)(IRT319) وهو المسؤول عن الشئون الزراعية ، كما

تسجل النقائش البونية وظائف أخرى خاصة بالشئون الدينية مثل ادرعزوم (Adr Azrm) (IPT21;27) وهي تعني المسؤول عن الشؤون الدينية وتعادل باللاتينية عند الرومان (Praepeetus Saerorum) (I RT319-321-322) ، وكذلك ادركوهمهينم (Drkhnm) (I P T 21:27) وهي تعني الكاهن الأعظم وتعادل باللاتينية (Pont Fex Maximus) [2] وهو المشرف على الشؤون الدينية ، وهناك طبقة أخرى وهي الذباح (Zbh) (I PT 273) وهي تعني كاهن خاص بتقديم الأضاحي إلى أحد الآلهة وهي تعادل باللاتينية مصطلح " فلاميني "(Flamine) [3] .

وهذا بطبيعة الحال لا يعني اتخاذ إجراءات غريبة أو استبدال للمؤسسات التقليدية حيث لا ينجم عن ذلك أي اختلاف في جوهره سواء في التكوين أو التنفيذ عن المؤسسات الموجودة في المدينة الفينيقية القديمة ، و إنما مجرد تغيير في الأسماء [4] . وظهر التأثير الروماني في الصناعة اليدوية الفينيقية الليبية ، فقد جاءت النماذج المحلية تقليداً لنماذج مزخرفة مثل تل التي كانت منتشرة في روما ، حيث تغير المظهر الخارجي لجرار لبدة بسبب التأثير الروماني ، ذلك انه عثر في مقابر (قصر الجلدة) على لقيات محلية الصنع رومانية الطراز مثل جرار حفظ رفاة الموتى [5] .

هذا لم يقتصر تأثير الحضارة الرومانية في حضارة الإقليم على الجانب الاقتصادي والسياسي في المدن الفينيقية الليبية ، بل تجاوزه إلى الناحية الدينية ، وقد جرى حل الاختلاف

---

(1)عبد الحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، ص 348.

(2) Levi Della, Vida ,G..in Afr .Ital. 6(1935) ,p106-107 ; Diso,p.116no.15.

وقد ورد في النقائش البونية القرطاجية مصطلح رب كوهنم (RB Khnm) وهو ما يعادل ادركوهم (Ader Khhm) .

(Ibid ,p.106-107).

I P T 15 ; Diso ,p.71. (3)

Elmayer .A ,F. (1997) (4)
Tripolitania and the Roman Empire,1997 , p.179.
Divta -Evrard. G. et ' la Ipogeo deiFlaria leptis (5)
MagnaPresso Gsr Gelda' LA2 (1996), p.85-132.

بعملية المطابقة بين الآلهة (Syncretism) حيث عبدت الآلهة الفينيقية الرئيسة تحت أسماء آلهة رومانية مثل الإله الفينيقي ملك عشترت التى جرت معادلته بالإله الروماني هيركيوليس والإله شادرافا بالإله الروماني ليبير باتر ، وظهر التأثير في الناحية الثقافية ، ذلك انه حدث تغيير في عملية الدفن المعتادة عند الفينيقيين الليبيين التي استمرت حتى القرن الأول ق.م، ثم بدأت بعد هذا التاريخ ممارسة طريقة الدفن بطقس الحرق[1] ، ويبدو أن عادة الحرق هذه جاءت بتأثير إغريقي روماني [2] . فظهرت تأثير الحضارة الرومانية في ثقافة السكان المحليين حيث حمل البعض منهم أسماء رومانية بدلا من البونية أو الليبية مثل قايوس بن حانو من أرستقراطية لبده (I R T 338) و ماكرينوس و أسماء مقبرة بئر بدر جنوب الإقليم (IRT 338) وكذلك انتشار بعض المصطلحات الرومانية في الحياة العامة ، والخاصة كينتنا ريوم(Centinaniam)(I R T 339) وديناريوس (I R T 906) ،كما جرى تصميم شواهد هذه القبور التي تحمل نقائش جنائزية على الطريقة الرومانية ، كما وأنه اعتباراً من القرن الثاني الميلادي اخذ في كتابة اللغة البونية بالحروف اللاتينية ، ويجد هذا تأكيداً له في النقائش البونية اللاتينية التي عثر عليها في مناطق مختلفة من الإقليم [3] ، وبانتشار الثقافة الرومانية في إقليم المدن الثلاث اخذ السكان في الكتابة باللغة اللاتينية ، ويدل على ذلك النقائش اللاتينية التي عثر عليها بالمقبرة الشمالية الخاصة بالليبيين في قرزه ، والتي ترقى إلى القرن الثالث والرابع الميلادي [4] .

وبالرغم من كل المحاولات التي قامت بها روما لنشر حضارتها وفرض لغتها على السكان ، إلا أن الشواهد الأثرية تنهض دليلاً على استمرارية بعض مظاهر الحضارة البونية في ليبيا خلال العصر الروماني ، ففي المدن الساحلية استمر استعمال اللغة الفينيقية البونية كلغة رسمية والتي ظهرت في النقائش الثنائية باللغتين اللاتينية والبونية التي عثر عليها في لبده [5] ، كما دلت هذه النقائش على استمرارية المؤسسات الفينيقية في العهد الروماني في الإقليم وتطويرها

---

(1) محمود الصديق أبوحامد وآخرون ، أخبار أثرية ، المرجع السابق ،ع11-12(1974-1975)،ص 47.

(2) Divta -Evrard. G,LA2 (1996).

(3) لمزيد من المعلومات عن النقائش البونية اللاتينية التي تم اكتشافها في إقليم المدن الثلاث راجع:

عبد الحفيظ فضيل الميار ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية ، المرجع السابق ،ص 201.

(4) Brogon ,O. and Smith ,Girza,op.cit , p.123-135.

(5) I R T 599= I P T 27.

لتوائم المؤسسات الرومانية علاوة على إيجاد مسميات ومصطلحات جديدة لتتناسب مع الوظائف الرومانية [1] .

هذا ويمكن القول بأنه على الرغم من المظهر الروماني الخارجي للمدن الفينيقية الليبية ، إلا أن الحضارة الفينيقية الليبية استقرت في مدن الإقليم تحت قشرة رومانية خارجية [2] .وهكذا نرى أن روما و أن أنهت قرطاج عسكرياً وسياسياً فإنها لم تعمل على

محو الثقافة الفينيقية ، فعلى الرغم من أن الطبقات الحاكمة و الأسر الثرية في الأراضي التي كانت تابعة لقرطاج ، والتي يعتبر إقليم المدن الثلاث امتداد لها إلى الشرق كانت تتكلم اللغة اللاتينية ، إلا أن عامة الشعب استمرت في استعمال اللغة الفينيقية حتى فترة متأخرة من العصر الروماني ، حيث نجد القديس أغسطس ينصح رجال الدين أن يتعلموا اللغة الفينيقية إذا أرادوا نشر الديانة المسيحية[3] .

وتشير الأدلة إلى أن استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في ليبيا استمرت حتى نهاية العهد البيزنطي و مجيء العرب المسلمين إلى شمال أفريقيا ، وقد يجد هذا تأكيداً له في ما ذكره القديس أغسطس عن أهمية اللغة البونية وأيضا في النقائش البونية اللاتينية التي ترجع إلى فترة متأخرة من العصر الروماني مثل مقبرة تربيونات– بئر دريدر الخاصة بمشائخ القبائل الليبية التي كانت تنتشر مضاربها في تلك المنطقة في جنوب الإقليم .

---

(1)
Langerystay ,M.C C P, op.cit.p884.

Benabou ,M. la Resistance Africaine A la Romanisation,Paris,1976,p511-550. **(2)**

Augustine Epist,p201-203. **(3)**

قائمة المختصرات

Afr.Ital: Africa Italian.

CCP.Bics: Builtn of Classica Studies ,University of London.

Caes: Caeser,J.Bel .Africum.

CEFR

JAH:

IPT:G.Levi Della Vida and M.G,Guzzo Amdasi,Iscrizoni Della Tripolitania (1927-1967) Rome,1986.

IRT: J.M.Reynolds and J.B.Ward-Perkins Inscriptions of Roman Tripolitania.

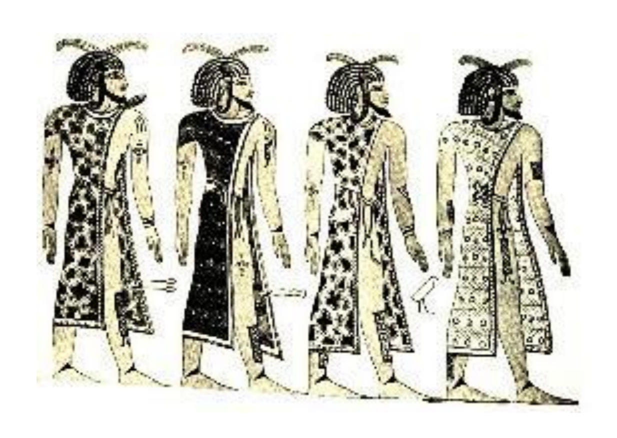
LA : Libya Antiqua.

Lib .Stud: Libyan Studies.

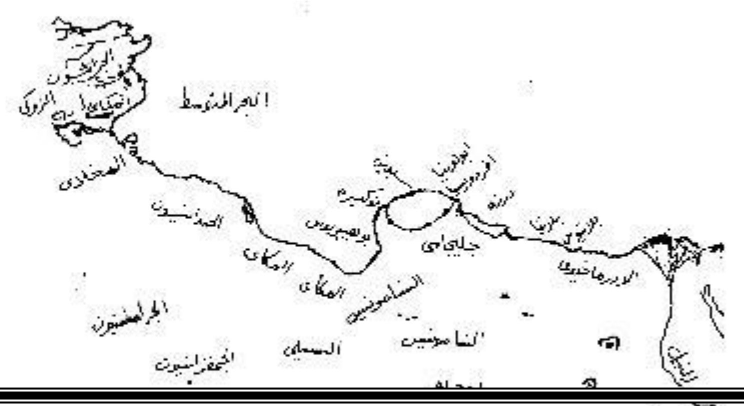
LH: Libya in History ,Benghazi,1968.

MDAIR : Damaszener Hittilungen Dautshes Archaology Institut.

RCL: Rend .Cont.AC.Linc.



شكل رقم (1) رسـوم التمحو
عن (Bates,O 1914,P.119 pla.3)



شكل رقم (2)

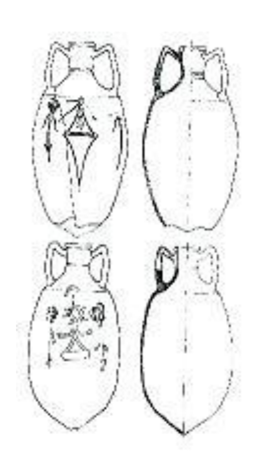
خريطة القبائل الليبية كما جاءت عند هيرودوت
عن (Bates,O.1914,p.53)



شكل رقم (3)

نقيشة معبد الإله الليبي آمون في قرية الخضراء ـ ترهونة

عن (IPT 67)



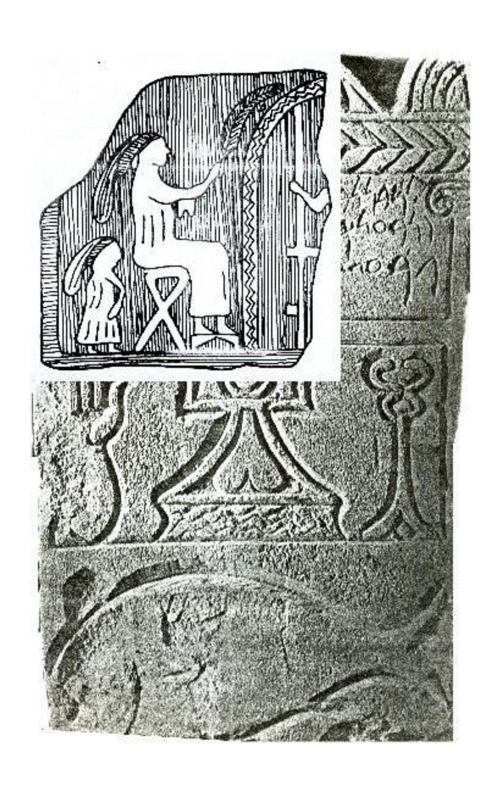
شكل رقم (4) جرار فخارية تحمل رموز الآلهة تأنيت ـ فيلا النيل ـ قرب لبدة ألكبري
عن(Di Vita ,1968,p.72 fig.19)



شكل رقم (5) مقبرة بها رموز الآلهة تأنيت في مدينة مسلاته
عن (متحف لبدة ألكبري)



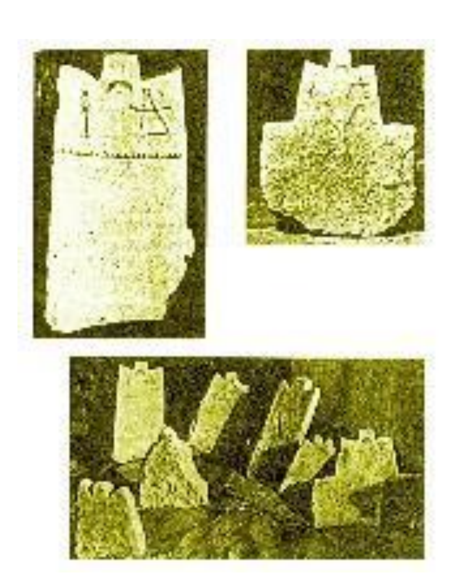
شكل رقم (6) رموز الآلهة تأنيت
عن (Moscati,S.1968,P.136)



شكل رقم (7) تمثال مكرس لأحد الآلهة و يجلس أمامه أحد المتعبدين و معه خادمه في وضع يمارس فيه طقوس العبادة,عثر علية في مدينة غدا مس
عن (Di Vita , A . 1968,P.85,fig.68)



شكل رقم (8) معبد الإله ملك عشترت في لبدة ألكبري
عن (Brouquier- Redde 1992,P.90 fig. 41)



شكل رقم (9) نصب للأضاحي المقدمة الالهة تأنيت عثر عليها في توفيت الغيران
(10كم غربي ويأت)
عن (Taboreelli,L.1995,P.44,fig.41)

1. *IVLIVS NASIF*
2. *TRIBUNUS BYM*
3. *SIR ABAN BYN*
4. *JYEIHAN RIRA*
5. *CHAN B(AL)MSA*
6. *RASTHIE VY MYSY*
7. *RTHIM BAL SEM RM*
8. *SABSI BEN MYCNE*
9. *I SABSY(V)FATHSY BY*
10. *N AABSM(UN)(R)OSA L*
11. *VN(SN)...*



شكل رقم (10)
نقيشة ضريح الشيخ جوليوس ناصف
عن (IRT 886)

د. عبدالحفيظ فضيل الميار